جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

أسباب النزول
بين علماء علوم القرآن والحداثيين

إعداد الدكتور

إبراهيم علي أحمد محمد

قسم الثقافة الإسلامية - كلية الدعوة الإسلامية بالقاهر
جامعة الأزهر- مصر

أسباب النزول بين علماء علوم القرآن والحداثيين

إبراهيم علي أحمد محمد
قسم الثقافة الإسلامية - كلية الدعوة الإسلامية بالقاهر - جامعة الأزهر- مصر
البريد الالكتروني: ibrahemali. 2013 @azhar.edu.eg

ملخص البحث:

إن الحداثيين ثاروا على كل شيء، النص والعقل، مستعينين على كلامهم بالكذب تارة، أو بالتأويل المذموم أخرى، وهدفهم أن يصبح الدين رمزاً، أو تحنيطه بحجة تاريخيته مستدلين على ذلك بأسباب النزول، فالحكم عند الحداثيين مقصور على سبب نزوله لا يتعداه إلى غيره بحال من الأحوال، لا نصاً ولا قياساً، ومن ثم شنوا حرباً على قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

والحقيقة أن التاريخية تصدق على الناس، وليس على رب العالمين العالم بالماضي، والحال، والمستقبل، ونلحظ هذا في تغيير المؤلف لسياق كلامه بعد أيام من كتابته، ولكن العليم الخبير لا ينطبق عليه هذا سبحانه، ولقد عني القرآن الكريم بذكر قصص من قبلنا وهي ما يقارب ربع القرآن لأخذ العبرة من الماضي للواقع الحاضر.

إن ما يرنو إليه مقلدو الحداثة الغربية هو الثورة على الدين بغية الوصول إلى ما وصلت إليه أوروبا، فينطلق الأعمى، وينفك القيد، ونسوا نقطة في غاية الأهمية أن القيد عندنا ليس في الدين، بل في تغييب الدين عن الحياة لأن في الدين مبادئ نادت بالسعي والانطلاق وإحياء الموات، وأوروبا نفسها طبقوا مبادئ الدين من العدالة، والحرية، والمساواة فتقدموا، ولو طبقنـــا نفس المبادئ التي نادى بها الدين لتقدمنا.

الكلمات المفتاحية: أسباب النزول – الحداثة – التاريخية – الأنسنة.

The Reasons for the Descent among Scholars of the Qur'an Sciences and Modernists

Ibrahim Ali Ahmed Muhammad
Department of Islamic Culture, Faculty of Islamic Call in Cairo, Al-Azhar University, Egypt.
E-mail: ibrahemali.2013@azhar.edu.eg

Abstract:

The modernists revolted on everything, the text and the mind, using their words to lie at times, or by other reprehensible interpretation, and their aim is to become religion as a symbol, or to bend it under the pretext of his history, inferring the reasons for the descent, because the ruling of the modernists is limited to the reason for its descent in no way, no text or analogy, and then they wage war on the basis of the lesson sought by the general reason for the reason. The fact is that history believes in people, not the Lord of the Worlds in the past, the situation, and the future, and we notice this in the author's change of context after days of writing, but the expert knowledge does not apply to him this Almighty, and the Holy Qur'an has meant to mention stories before us, which is about a quarter of the Qur'an to take the lesson from the past to the present reality. What the imitators of Western modernity aspire to is a revolution on religion in order to reach what Europe has reached, and we go blind, and forget the most important point that our limitation is not in religion, but in the absence of religion from life, because in religion there are principles that advocate dissalating and reviving the dead, and Europe itself has applied the principles of religion of justice, freedom and equality, even if they are medicine The same principles that religion has called for our progress.

Keywords: Reasons for Descent, Modernity, History, Humanism.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين..... **وبعد** ؛؛؛

فإن الإسلام منذ أن صدع به النبي (ﷺ) على جبل الصفا وهو يتعرض لحرب ضروس، وهذه سنة الله تعالى في الدعوات، فقد ولع بعض الناس برمي الشجرة المثمرة؛ ولولا أن الله حفظ دينه من كيدهم ربما اندثر، أو توارى منذ زمن بعيد ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾[1].

وقد قيض الله (ﷻ) رجالاً لهذا الدين من ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ قال رسول الله (ﷺ): ﴿ **يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ** ﴾[2].

والصراع اليوم هو صراع المرجعية بين المرجعية الدينية والحداثة الفلسفية.

وقد ثار الحداثيون على كل شيء مستعينين على كلامهم بالكذب تارة، أو بالتأويل المذموم أخرى، وهدفهم أن يصبح الدين رمزا مفرغاً من روحه وهيهات أن يفلحوا.

---

(١) سورة الصف، الآية (٨).

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفي: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج١٠ ص٣٥٣، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، والحديث مرسل رواه: إبراهيم بن عبد الرحمن العذري.

وإذا كانت العلمانية نفسها سقطت في عقر دارها، وبقي التدين موجودا في الناس، لأنه فطرة الله التي فطر الناس عليها، بل وينادى بإحيائه من جديد على لسان العقلاء منهم، بل ويشجعونه في بعض الدول الأوربية بعدما أكلت المادية أصحابها.

ونحن في هذا البحث بصدد الحديث عن طائفة من الحداثيين، والتي يحاول أصحابها إماتة الدين، أو تحنيطه بحجة تاريخيته مستدلين على ذلك بأسباب النزول.

والحقيقة أن التاريخية تصدق على الناس، وليس على رب الناس عالم الماضي والمستقبل، ونلاحظ هذا في تغيير المؤلف لبعض سياق كلامه بعد أيام من كتابته، ولكن العليم الخبير العالم بالزمان، والمكان، والحال، والاستقبال لا ينطبق عليه هذا، وإلا فلماذا عني القرآن الكريم بذكر القصص قبلنا وهي ما يقارب ربع القرآن إلا لأخذ العبرة منها لما هو قادم وليست هي فقط للتاريخ، حيث إن الأيام تتشابه، وإذا كنا نخاطب الحداثيين على أنهم مؤمنين بالقرآن فماذا يقولون وقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[1] وفي قولـــه تعالى: ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴾[2] وغيرها من الآيات التي تفيد الحال والاستقبال إننا لا نبعد النجعة لو قلنا إن الهدف من هذه الحملة هو إسقاط هيبة النص القرآني من القلوب، وهؤلاء أشد فتكاً من الذين ينقلون العدوى بين الناس، أو إفكا من الباطنية الذين يقولون بباطن واحد للنص، أما هؤلاء فقد جعلوا لكل قارئ باطن بمعنى أن يفهم النص كما يريد، فهؤلاء إما أن يستقيموا أو يقوموا.

ومع أن الحداثة غربية المنشأ قامت من أجل الحد من سلطان علماء الكنيسة

(١) سورة محمد، الآية (١٠).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٩).

إلا أن نفراً من أبناء جلدتنا دخلوا جحر الضب متبعين شريعة الغالب دون نظر من فكر، أو مسكة من عقل مسحورين بالنهضة الأوربية، ولم يحسبوا أن الإسلام دين الحداثة، والعلم والتطور وهل هناك تشجيع على الحداثة أكثر من أن الإسلام يدعو للإحياء في جميع مجالات الحياة ويعطي على ذلك جائزة مغرية ساوت إحياء البشر جميعاً، قال تعالـــــى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[1] فما بالك لو تعدد الإحياء لعدد من البشر بإبداع، أو إضافة، أو مصل في ظل الوباء العالمي الذي يجتاح العالم الآن وهل يعقل أن يكون الإحياء تاريخي!!!!!.

إن الإسلام أحيا الناس بعدما كانوا على حافة الحتف، بيد أن حمأة الفكر التي يرتكس فيه الحداثيون ما هو إلا ضجيج بلا طحين، وما استفاد منه الناس إلا القهقري وما استقام به الناس يوماً.

إن التخلف الذي أصاب الناس ليس بسبب تمسكهم بالمنهج، بل هو بسبب بعدهم عنه، وانظر إلى الوراء، وعاود الكرة ينقلب إليك البصر خاسئاً حسيراً حين تعلم أن ما قامت عليه أوروبا هو من وحي الله السماوي والفكري فأنى تؤفكون ؟.

وقد أردت بفضل الله تعالى أن أسبر غور هذه الفكرة، وأعرف وجهة نظر الحداثيين واستدلالهم على تاريخية النص من خلال مسألة أسباب النزول، ورد العلماء عليهم وهو والله ما استحقوا التفتيش ورائهم لولا فتنة الناس ممن ليس لهم قدم في العلم ولا نفس في البحث وحتى لا تكون فتنة، ويحي من حي على بينة.

(١) سورة المائدة، الآية (٣٢).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- **تفنيد فكرة بعض الحداثيين عن أسباب النزول وهي:** أن الآيات القرآنية مرتبطة بحدث تاريخي، وقد انتهى عهدها، فالسبب يقيّد مدلول النص، ويجعله مرتبطاً بتلك الحادثة بعينها التي من أجلها نزلت الآية، وهذا ما يتنافى مع صلاحية القرآن وأحكامه لكل زمان ومكان، فكان لابد من التنويه حتى لا يفتتن الناس بهذا الكلام.

٢- **بيان تلبيس الحداثي في تتبعه للمتشابه من النصوص،** والأقوال الضعيفة مما شأنه فتنة الناس ممن لا نفس لهم في تحقيق المسائل، فكان لا بد من بيان افترائهم

الدراسات السابقة:

هناك دراسات سبقت هذا البحث، وقد وقعتُ على بعضٍ منها، ومن هذه الدراسات:

١- **شبهات الحداثيين حول أسباب النزول:** بسام الجمل نموذجاً. د. أحمدي الشيخ التيجاني، المعهد العالي للبحوث والدراسات الإسلامية، موريتانيا، ط: مجلة الإمام الشاطبي. وتدور فكرة البحث الرئيسة حول شبهة: تشكل علم أسباب النزول ويرجع العامل فيه إلى عامل ثقافي ومعرفي وأيدلوجي.

وقد ذكر الكاتب إسهامه في هذا الكتاب فقال: يقوم البحث بمهمة تتبع المسار التاريخي لعلم أسباب النزول، والوقوف على أصوله ومصادره، وكذلك معرفة إسهامه في التفسير، وذلك لمعرفة محددات نظر علماء المسلمين من سلف وخلف لهذا العلم، وما رموه من خلال بحثه تثميناً ونقداً، كما قام بدراسة نظر الحداثيين لهذا العلم، والوقوف على محدداته، ثم الرد على شبههم التي عبروا عنها من خلال مناقشتهم لمسائله، سواء تعلق الأمر بتاريخ نشأته أو كيفية توظيفه في فهم الآيات القرآنية.

٢- **أسباب النزول تحديد مفاهيم ورد شبهات:** د. محمد سالم محمد، ط: دار

بصائر وصدر في طبعته الأولى باسم: أسباب النزول بين الفكر الإسلامي والفكر العلماني.

ولم أتمكن من الوقوف على نسخة من هذا الكتاب مع البحث المستمر.

ولكني نحيت في هذا البحث منحى آخر وهو التركيز على شبهة تاريخية النص من حيث الاستدلال على تلك الفكرة بأسباب النزول ومن ثم الرد عليها فأتناول الشبهات الحداثية، ثم أقوم بتفنيدها وإلزام الحداثي الحجة والبينة.

خطة البحث:

وتشتمل خطة البحث على مقدمة، ومبحثين هما:

المبحث الأول: أسباب النزول وتاريخية النص عند الحداثيين.

المبحث الثاني: أسباب النزول عند علماء علوم القرآن.

ثم خاتمة البحث: وتشتمل على أهم التوصيات وأبرز النتائج.

منهج البحث:

سوف أتبع في بحثي المنهج الاستقرائي، وذلك بتتبع النصوص الشرعية، وأقوال العلماء المتعلقة بالموضوع ونسجها في موضوع واحد، كأداة أساسية في البحث مع الاستعانة ببعض المناهج الأخرى منها المنهج الاستنباطي من خلال فهم النصوص وما يستنبط منها وكذلك المنهج التحليلي لتقديم فكرة متكاملة عن البحث.

أما خطوات المنهج فتتمثل فيما يلي:

١- تتبع النصوص القرآنية مع عزو الآيات إلى مواطنها مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢- تتبع النصوص النبوية مع تخريج الأحاديث والحكم عليها.

٣- ذكر أشهر أقوال العلماء المتعلقة بالموضوع.

٤- أختم بأهم التوصيات والنتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

تحديد مصطلحات عنوان البحث

تمهيد:

إن ما يرنو إليه مقلدو الحداثة الغربية هو الثورة على الدين بغية الوصول إلى ما وصلت إليه أوروبا من تقدم، فينفك قيد الدين، وينطلق الأعمى ونسوا نقطة في غاية الأهمية أن القيد عندنا ليس الدين، بل تغييب الدين عن الحياة لأن الدين نادى بالسعي والانطلاق وإحياء الموات، وأوروبا نفسها طبقوا مبادئ الدين أقصد العدالة، والحرية(١)، والمساواة تقدموا، وكل هذا من الدين ولو طبقنا نفس تلك المبادئ لتقدمنا أيضاً.

بيد أن الحداثة انتقلت إلينا على كل حال، فأخذها أعمى لا يرى في الدين تلك المبادئ، ولم ير إلا تسلط رجال الدين، ومصادمتهم للعقل والعلم.

لكن الحداثة في البلاد العربية ليست أصيلة، بل حداثة مقلدة، فابتليت الأمة بكومة من الحداثيين العرب الذين دخلوا جحر الضب، ثم غاصوا في كتب التراث بحثاً عن سقط المتاع التي تؤيد فكرتهم، ثم بعد ذلك فسحت لهم المنابر يرددون بضاعتهم المزجاة يلفها الكذب الصراح والتضليل المتعمد، والخطورة تكمن في فتنة العامة الذين لا فقه لهم، ولا نفس في التحقيق.

فثار الحداثيون الغربيون على النص الإلهي بسبب مشكلتهم مع الكنيسة قديماً فقادوا تمرداً على النص كونه فيه إشكال مع العلم ونقل الحداثيون العرب هذه المنهجية مع أنه لا يوجد عندنا إشكال مع العلم، بل الدين آخى العلم وحث عليه ويكفي أن فالهدف من وجود الإنسان في الحياة هو العمارة والعبادة ولا تكون عمارة إلا بعلم وتطور وبعد عشرات السنين بدأ بعض المفكرين الغربيين

(١) وقصد هنا تطبيق الحرية المنضبطة بالدين.

ينادون بالعودة إلى الدين بعدما أكلتهم المادية[١].

والغريب أن بعد هذا الإبحار الطويل فيما ليس بشيء يعودون في آخر حياتهم عن تلك المكابرة يعرب عنها من يعرب، ويموت بها من يموت، وفي لقاء أخير في أحد البرامج للحداثية: نوال السعداوي قالت ما نصه: (لعل هذا هو لقائي الأخير بكم ثم قالت: إن العلمانية ببساطة هي فصل الدين عن الدولة، وأنا دفعت ثمن العلمانية، وأفنيت عمري في فصل الآلهة عن السياسة، ثم تبين لي بعد ذلك أن العلمانية وهم، وأن الدين والدولة يدعمون بعضهم بعضا، فقوانين الدولة مستمدة من الدين)[٢].

وسوف أبين أولا: المفهوم اللغوي، والاصطلاحي للحداثة، ومفهوم أسباب النزول على النحو التالي:

١ ـ المفهوم اللغوي والاصطلاحي للحداثة:

الحداثة في اللغة هي: الشيء الحادث وهو الذي كان بعد أن لم يكن، وهو ضد القديم، فالحديث الجديد من الأشياء وهو نقيض القديم)[٣].

(فالحاء والدال والثاء أصل واحد؛ وهو كون الشيء لم يكن يقال: حدث أمر بعد أن لم يكن)[٤]. (والحداثة مصدر الفعل حدث يقال حدث حدوثاً، وهى تعنى

(١) سقطت العلمانية في عقر دارها وعاد الناس إلى التدين لأنه فطرة الله وصبغة الله التي فطر وصبغ الناس عليها راجع كتاب: الإنسان بين المظهر والجوهر للكاتب اريك فروم وغيره من الكتب وقد رأى ذلك الشيخ محمد العبودي عضو رابطة العالم الإسلامي في رحلته إلى السويد من تشجيع الحكومة هناك الناس على التدين للحد من ظاهرة عملية الانتحار كم سيأتي.

(٢) من لقاء لها تلفزيوني لها منشور على الشبكة الدولية على اليوتيوب.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج٢ ص١٣١، ط: دار صادر.

(٤) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج٢ ص٣٦، ط/١، دار الفكر.

نقيض القديم)[1].

ولكن ما معنى مصطلح الحداثة أو العصرانية (Modernism) في بيئتها التي نشأت فيها.

قالوا هي: (النزعة اللاهوتية المتحررة وبخاصة في البروتستانتية. أوهي نزعة في الفن الحديث تهدف إلى قطع الصلات بالماضي والبحث عن أشكال من التغيير جديدة)[2].

وهذه النزعة اللاهوتية المتحررة بدأت بتأويل تعاليم الكنيسة على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

وبهذا يتضح أن الحداثة نزعة تهدف إلى الحد من سلطة الكنيسة وهيمنتها في فهم الكتاب المقدس ثم صارت منهجاً عاماً له تجلياته في الأدب، والسياسة، والاقتصاد ثم البينونة التامة من كل ما هو قديم.

٢ ـ مفهوم أسباب النزول:

سبب النزول يعني الحدث الذي نزل بسببه الآية، وبذلك يخرج كثير من أخبار الوقائع الماضية.

يقول الإمام السيوطي (رحمه الله): (وَالَّذِي يَتَحَرَّرُ فِي سَبَبِ النُّزُولِ أَنَّهُ مَا نَزَلَتِ الْآيَةُ أَيَّامَ وُقُوعِهِ لِيُخْرِجَ مَا ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي سُورَةِ الْفِيلِ مِنْ أَنَّ سَبَبَهَا قِصَّةُ قُدُومِ الْحَبَشَةِ بِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ أَسْبَابِ النُّزُولِ فِي شَيْءٍ بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ عَنِ الْوَقَائِعِ الْمَاضِيَةِ)[3].

---

(١) تاج العروس، الزبيدي، ج٥ ص ٢٠٥، ط/١، دار الهداية.

(٢) المورد: قاموس إنكليزي عربي، منير البعلبكي، ص٧٣٥، ط: دار العلم للملايين.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفي: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ص١١٦، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

المبحث الأول

أسباب النزول وتاريخية النص عند الحداثيين

المطلب الأول

مراحل تكوين الحداثة

ظاهرة الحداثة فرضت نفسها على الواقع الغربي كرد فعل للجمود الذي ساد أوروبا في العصور الوسطى، فقد عاشت أوروبا فترة مظلمة في تاريخها تسمى (فترة العصور الوسطى، بداية من القرن الرابع للميلاد حتى نهاية القرن الخامس عشر "٣٠٠ ــ ١٥٠٠" احتكرت الكنيسة فيه الثقافة الأوربية، فحاربت المفاهيم العلمية، والأفكار الحرة التقدمية)[١].

(ويمكن إرجاع هذا التخلف الذي عاشته أوروبا إلى التسلط الكنسي، وإلى التيه الذي دخلته أوروبا منذ سيطرة الفكر الوثني وأدبه على اليونان فترة طويلة، ثم على الإمبراطورية الرومانية، ثم مزج الدين المسيحي بالوثنية حين اعتنقته الإمبراطورية الرومانية ثم محدودية المسيحية، فقد جاءت المسيحية إلى قوم محدودين فلم تحمل معها علاج مشاكل المجتمع الأوروبي)[٢].

فكانت الثورة العلمية والفكرية والتي أعقبت الثورة على الدين الذي يخالف العلم (فكانت الاكتشافات العلمية بعد ذلك التي تخالف النص المقدس دور كبير في التخلي عنه)[٣].

---

(١) انظر: الحضارة الأوربية في العصور الوسطى، نعيم فرح، ص١٠، ط: منشورات جامعة دمشق، سوريا، ط/٢، ١٩٩٩/٢٠٠٠م.

(٢) انظر: الحداثة من منظور إيماني، عدنان علي رضا النحوي، ص ٢٥ ــ ٣٠، ط: دار النحوي.

(٣) راجع: تشكيل العقل الحديث، كرين برنيتون، ترجمة: شوقي جلال، ص١٢٦، ط: عالم المعرفة.

كل ذلك مهد لظهور الحداثة، فظهرت بوادر الانشقاق عن الكنيسة، وظهرت حركة الإصلاح الديني على يد مارتن لوثر، والتي تعني أن الدين شأن فردي، وأن كل إنسان يستطيع أن يصل بنفسه إلى الحقيقة، وثار على ممارسات الكنيسة، وهاجم السلطة التي تمثلها، ونتج عن هذه الحركة ظهور المذهب البروتستني الذي سعى إلى إلغاء احتكار الكنيسة البابوية لتفسير الكتاب المقدس، وطبقوا القواعد الانتقادية، وأرادوا أن يخلصوا النصوص المقدسة مما علق بها مع الزمن من إضافات تدعو إلى الشك، وفسروها تفسيراً يرجعها إلى معناها الحقيقي (ويمضي لوثر في دعوته قائلاً: طالما أن القسيس الكاثوليكي أصبح عقبة بين الإنسان والرب، فان الواجب يقتضينا أن نتخلص من كل ما قد يشكل عقبة على هذا النحو ليكن كل إنسان قسيس نفسه، وإنها لجرأة تبلغ حد الوقاحة حين نزعم أن الله العلي القدير العليم الخبير يرضى بأن يتدخل جهاز تافه مثل الكنيسة في علاقته مع عباده)[1].

ويسمى هذا العصر بعصر النهضة ثم تطورت تلك الفكرة التحررية لتشمل مرحلة ما تسمى بالأنسنة، وهي رفع القداسة عن نصوص الوحى، وأخذت الطابع البشري باعتبارها خرجت منه، وتبعهم الحداثيون العرب فقالوا: (إن كلام الله قد تجسد في شكل ملموس في كلتا الديانتين؛ المسيحية في مخلوق بشرى هو المسيح، وتجسد في الإسلام نصاً لغوياً في اللغة العربية وفي كلتا الحالتين صار الإلهي بشريا أو تأنس الإلهي)[2].

ثم تلاها ما يسمى بعصر التنوير وهو عصر العقلنة وفيه كان الاستقلال التام عن الوحي، وعدم الإبقاء على الأوصياء الروحيين، واعتبروه من السخافات

(١) تشكيل العقل الحديث، ص٩٠.

(٢) قضايا وشهادات، نصر حامد أبو زيد، ج٢ ص٣٩٠، ٣٩١، ١٩٩٠م، نقلاً عن/الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، د. سعيد ناصر الغامدي، ص٥٨٨، ٥٨٩.

ونوع من العجز ونقص في الشجاعة وملكة الفهم.

فالتنوير هو: (خروج الإنسان من قصوره الذي اقترفه في حق نفسه، وهذا القصور هو عجزه عن استخدام عقله إلا بتوجيه من إنسان آخر)(١).

وفي هذا العصر انتقلت أوروبا الغربية من مجتمع الطبيعة المحكوم بالحق الإلهي إلى المجتمع المدني.

ثم جاء عصر الحداثة وهو الثورة على العقل نفسه تحت مسمى البنيوية وثاروا على بنية النص نفسه، فكانت البنيوية وهي: (إعادة كتابة القارئ للنص أو ما يعبرون عنه بالنص المفتوح، أو موت المؤلف وهو أن لكل قارئ للنص الواحد أن يفهمه كما يشاء، فالنص الواحد له معان بعدد قارئيه، فليس لأحد أن يجبر القراء على فهم واحد للنصوص سواء شرعية أو وضعية)(٢).

وهنا برزت النسبية بمعنى أنه ليس هناك شيء ثابت، وليس هناك حقيقة مطلقة، فالنص يختلف بحسب قارئه، لأنه قالب بدون مضمون، فالمعرفة أسيرة لأدواتنا فكل شيء مقبول وليس لشيء أحقية مطلقة.

وبذلك انفكت الفكرة عقدة عقدة، وصارت الفكرة الحداثية أخطر من الفكرة الباطنية، التي تجعل للنص ظاهرا وباطنا، فأطلقت لكل ذي هوى أن يفهم النص على ما يريد، وتفضي هذه الفكرة إلى التلاعب بالنصوص الدينية.

والثورة على العقل تحت مسمى البنيوية تعني أن الإنسان بلا عقل حيث ينزعون من الإنسان إنسانيته، وخصوصيته التي تميزه عن بقية المخلوقات ــ وهو العقل ــ كما تجعل منه كائنا يهذي بالكلام كأنه بلا عقل، ولا إرادة.

---

(١) عصر التنوير، ليود سبنسر وآخرين، ص ١٦٥، ط: الهيئة العامة لشؤن المطابع الأميرية.

(٢) النظرية والنقد بعد البنيوية، جوناثان كولر، ص٣٨، نقلاً عن: الحداثة في العالم العربي، رسالة دكتوراه، محمد بن عبد العزيز أحمد العلي، ص٦٥.

المطلب الثاني
طريقة الحداثيين العرب في الكتابة

الحداثيون العرب لهم طريقتهم الخاصة في الكتابة تميزهم عن باقي الكتابات وأهم تلك السمات هي:

أولاً: التضليل المتعمد:

منهج الحداثي في إقناع غيره هو تأويل النص، أو تتبع المتشابه، أو الحديث الضعيف أو التلفيق أحياناً.

ومثال ذلك ما يطنطن به الحداثي: يوسف الصديق بهذه الرواية في محافل عدة شاهدتها عبر قنوات إعلامية وهي: أن عمر (ﷺ) وجد آخر سورة التوبة فقال لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة ويستشهد على ذلك بأن الإمام السيوطي ذكرها في إتقانه وهو من كبار المفسرين على حد قوله[1] يريد أن يقول أن الصحابة يصدرون من عند أنفسهم.

ولو عدنا إلى الإتقان لوجدنا أن الإمام/ السيوطي (رحمه الله) يرد على تلك الرواية ولا يثبتها، فقال: (وَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ لِيُرَتِّبُوا تَرْتِيبًا سَمِعُوا النَّبِيَّ (ﷺ) يَقْرَأُ عَلَى خِلَافِهِ نَعَمْ يُشْكِلُ عَلَى ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ فِي الْمَصَاحِفِ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: ﴿**أَتَى الْحَارِثُ ابن خُزَيْمَةَ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ بَرَاءَةَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَوَعَيْتُهُمَا فَقَالَ عُمَرُ: وَأَنَا أَشْهَدُ لَقَدْ سَمِعْتُهُمَا ثُمَّ قَالَ: لَوْ كَانَتْ ثَلَاثَ آيَاتٍ لَجَعَلْتُهَا سُورَةً عَلَى حِدَةٍ فَانْظُرُوا آخِرَ سُورَةٍ مِنَ**

(١) انظر: لقائه مع إبراهيم عيسى في برنامجه مختلف عليه على قناة الحرة وكذا في لقاءات أخر على قناة اليوتيوب.

الْقُرْآنِ فَأَلْحقُوهَا فِي آخرِهَا﴾[1] قُلْتُ: يُعَارِضُهُ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُمْ جَمَعُوا الْقُرْآنَ فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى الْآيَةِ الَّتِي فِي سُورَةِ بَرَاءَةَ: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ ظَنُّوا أَنَّ هَذَا آخِرُ مَا أُنْزِلَ فَقَالَ أُبَيٌّ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) أَقْرَأَنِي بَعْدَ هَذَا آيَتَيْنِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ)[2].

فالاستدلال على فكرتهم بما لم يصح دون النظر إلى الأسانيد كثير جداً.

ومنها إرسال الفكرة دون دليل ومثال ذلك قولهم: (وفي عصور التخلف واستخدام الدين لخدمة توجهات أصحاب السلطان تم وضع قاعدة تقول: إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهو ما يفتح الباب على مصراعيه أمام الاستخدام الانتهازي الصريح لنصوص الدين)[3].

فمن أين جاء بفكرته تلك وقد كان الأمر شائعاً عند الصحابة كما جاء في الإتقان: (ومن الأدلة على اعتبار عموم اللفظ احتجاج الصحابة وغيرهم في وقائع بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة شائعاً ذائعاً بينهم)[4].

---

(١) رواه أحمد في المسند، مسند الصحابة بعد العشرة حَدِيثُ الْحَارِثِ بْنِ خَزْمَةَ (ﷺ) عنه، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، ج٣ ص٢٤٠، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، وقال المحقق: إسناده ضعيف لتدليس محمد بن إسحاق، ولانقطاعه، قال الشيخ/أحمد شاكر: عباد بن عبد الله بن الزبير ثقة، ولكنه لم يدرك قصة جمع القرآن بل ما أظنه أدرك الحارثَ بن خزمة، ولئن أدركه لما كان ذلك مصححاً للحديث، إذ لم يَرْوِه عنه، بل أرسل القصةَ إرسالاً.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفي: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١ ص٢١٤، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، والحديث رواه الإمام أحمد وقال المحقق هو ضعيف أيضاً.

(٣) رب الزمان ودراسات أخرى، سيد محمود القمنى، ص١٤٩.

(٤) الإتقان، ج١ ص١١١، مرجع سابق.

ثانياً: الهذيـــان:

ومنها الهذيان أحيانا فنلاحظ في كتابة الحداثيين ما يسمى بالبنيوية أي ما يتعلق ببنية الكلمة وهي عزل النص عن فكرة قائله، فالكلمة المقروءة يتعدد فهومها بعدد قارئيها وهذا معناه أن يفسر النص بمعان غير مقصودة لا يحتملها النص، فيعطل البنيوي اللغة عن مهمتها في نقل المعاني، ويحولها لقوالب جامدة يعاد تركيبها، ويصنع دلالتها بعيداً عن معانيها الظاهرة، ومراد قائليها، فكل نص بنية منفصلة قائمة بذاتها مستغنية عن كل ما يحيط بها وعن قائلها، فتجعل من الإنسان ذاتا بلا هوية يهذي بالكلام بلا عقل، ولا قصد، ولا إرادة، ومن هذا المنطلق أتت نظريتهم موت المؤلف)[1].

فالشرع يخاطبنا والعلماء يبذلون الوسع في حمل الكلام على معانيه الصحيحة بامتلاك أدواته، ولكن هؤلاء الحداثيين يقومون بقطع الكلام عن الوضع اللغوي المعروف، فتظهر نظرية موت القائل، أو المؤلف بقطع اللفظ عن المتكلم به، فالذهن ينتقل من اللفظ إلى معناه، ومن معناه إلى اللزوم، وإذا كان التضمين خارج عن معنى اللفظ كان هذياناً. (فالأصل في دلالة السمع أنه لا بد من مواضعة، ولا بد معها من القصد إلى ما يطابق المواضعة)[2].

وعندهم أيضاً ما يسمى (بالتفكيكية وهي لا تبتعد كثيراً عن هذا المعنى فمعناها: فقدان المعنى وعدم الثبات وأن العبرة بالذات القارئة للنص لا بكتابه ولا مصدره)[3].

---

(١) انظر: البنيوية النشأة والمفهوم ــ عرض ونقد ــ، محمد بن عبد الله بن صالح بــن بلعفيــر، ص٢٤٥، جامعة الأندلس.

(٢) المغني في أبواب العدل والتوحيد، (النبوات والمعجزات): القاضي عبــد الجبــار، ج١٥ ص١٦٠.

(٣) الحداثة وموقفها من السنة، د. الحارث فخــري عيــسى عبــد الله، ص ٣٨٢، ط: دار السلام.

وعندهم التاريخية وهي زمنية النص أي أن النص حبيس زمانه لا يتعداه إلى غيره. وبذلك بطلت الحكم والمواعظ فهل هذا إلا هذيان؟.

إننا إذا طبقنا هذا الكلام أو هذه النظريات على الحداثيين أنفسهم، فكلامهم من هذه الناحية فقد معناه، وفقد الهدف الذي من أجله كتبوه، فالعبرة بذات القارئ لا بذواتهم الكاتبة وباعتبار التاريخية فكلامهم بعد فترة من موتهم لا قيمة له، والخطورة أننا لو طبقنا هذا الكلام على باقي العلوم فلا عبرة بنظرية رياضية ولا اكتشاف علمي، وعند هذا يقف التطور، فنظريتهم تعني هدم كل ما هو قديم.

إن العلوم لا تقوم على هذا وإنما تقوم على أساس البناء لا الهدم يكمل فلان ما بدأه سابقه، وهكذا أم أنهم يريدون أن يطبقوا هذا على الدين فقط؟

إن نتيجة ما يصل إليه الحداثي بعد كل هذا الزبد والإرغاء هو: (إعلان الإفلاس الكلي إعلان أن العالم لا مركز له، ولا قيمة، ولا معنى ولا يوجد هامش، ولا وسط ولا يوجد إنسان، ولا إله وهي صيحة ألم لا أكثر ولا أقل، ومن البلاهة أن يقول الحداثيون العرب: لقد وصلوا إلى ما بعد الحداثة ولم نصل بعد إلى الحداثة)[١].

ثالثاً: الإبهـــام:

ومن طريقتهم في الكتابة لي الكلام بعضه على بعض يلفه الغموض (فلقد طاردنا الحداثيون بأفكار براقة ومصطلح نقدي أكثر بريقاً وجذباً لسنوات طويلة، وقد أعمانا هذا البريق عن حقائق كثيرة أبرزها المراوغة المقصودة، والغموض المتعمد مما جعل الحداثة في نهاية الأمر ناديا لنخبة النخبة، من ثم تعمدت التبسيط الشديد في محاولة لفك طلاسم المصطلح النقدي والشفرة الفكرية والنقدية للمشروع البنيوي واستراتيجية التفكيك)[٢].

(١) من فيديو منشور على الشبكة الدولية، لـــ د. عبد الوهاب المسيري.

(٢) المرايا المحدبة، د. عبدالعزيز حمودة، ص ٦، ط: عالم المعرفة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) في درء التعارض وكأنه يصفهم: (لكن هؤلاء عمدوا إلى ألفاظ مجملة مشتبهة تحتمل في لغات الأمم معاني متعددة، وصاروا يدخلون فيها من المعاني ما ليس هو المفهوم منها في لغات الأمم، ثم ركبوها، وألفوها تأليفاً طويلاً بنوا بعضه على بعض، وعظموا قولهم وهولوه في نفوس من لم يفهمه، ولا ريب أن فيه دقة وغموضاً لما فيه من الألفاظ المشتركة والمعاني المشتبهة، فإذا دخل معهم الطالب وخاطبوه بما تنفر عنه فطرته، فأخذ يعترض عليهم قالوا له أنت لا تفهم هذا، وهذا لا يصلح لك فيبقى ما في النفوس من الأنفة والحمية يحملها على أن تسلم تلك الأمور قبل تحقيقها عنده، وعلى ترك الاعتراض عليها خشية أن ينسبوه إلى نقص العلم والعقل)[1].

(فطريقتهم هي لي الكلام تحت مسميات الدراسة اللغوية والألسنية البنيوية كل ذلك من أبواب التدليس والتلبيس والمغالطة)[2] قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾[3].

والتضليل هذا ناتج عن ضلال المنهج، والاعتقاد ثم الاستدلال، فيعتقد فكرة عن طريق الاستحسان والتذوق، ثم يبحث عن دليل عليها، وهذا ما يدعوه إلى إنكار النص الذي يخالفه، أو تأويله ليتماشى وفكرته.

ومن الإشكالات لديهم والتي تضلل الباحث وراء فكرتهم أن عناوين كتبهم لا

(١) درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول: تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، ج١ ص٢٩٥، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٢) انظر: الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، د. سعيد ناصر الغامدي، ص٥٨٩.

(٣) سورة فصلت، الآية (٢٦).

تدل على المحتوى الداخلي، فتأخذ شكل العموم مثل: هموم الفكر والوطن، ومفهوم النص، ونقد العقل الإسلامي، وهكذا فإذا أردت أن تبحث مسألة من المسائل التي تناولوها لابد وأن تتوه في بطون الكتب حتى تحصل على ما أردت، ولكن يجمعهم أمر واحد هو نقد النص الديني والوصول به إلى أنه نص تاريخي ثم يتدرجون ويرون أنه من صنع البيئة وقد قيل هذا الكلام قديما من كفار قريش ولكنه يقال بطريقة أخرى فتشابهت قلوبهم قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴾[1].

رابعاً: التناقض:

و سماتهم في الكتابة التناقض وهذا واحد منهم ينقد أخاه فيقول: (فأول ما يلفت النظر في كتابات حسن حنفي قدرة كاتبها اللامحدودة على مناقضة نفسه، فهو لا يضع قضية إلا لينفيها، ولا يبدي رأياً إلا ليقول بعكسه، وهذا ما أباح لأحد نقاده أن يتطرف في القول إلى حد التجريح فيتساءل عما إذا كان في قدرة قارئ حسن حنفي أن يظل محتفظاً بقواه العقلية سليمة بعد أن يتراقص مع كاتبنا في حلقة المتناقضات الجنونية التي تدور فيها معالجته لموضوعاته)[2].

ومع أن الحداثيين يثبتون أسباب النزول استدلالا على قضيتهم بالقول بتاريخية القرآن نجد بعضهم يشكك فيها أحياناً[3] أو ينفيها مطلقا ومنها قولهم: (أدبيات أسباب النزول تزدهر وتنتشر ضمن الظروف الثقافية والسياسية

(١) سورة الفرقان، الآية (٤).

(٢) ازدواجية العقل، دراسة تحليلية نفسية لكتابات حسن حنفي، جورج طرابيشي، ص٩.

(٣) انظر كتاب: الكتاب والقرآن، محمد شحرور، ص٩٢، وكتاب: الإسلام بين الرسالة والتاريخ، عبد المجيد الشرفي، ص٤٨، وأحال كلامه إلى: نصر حامد أبو زيد في مفهوم النص، ص١٠٨، ص١١٥.

الخاصة بالقرن الأول للهجرة من أجل تبرير النسخ بأن الآية الناسخة قد نزلت فعلاً بعد لآية المنسوخة)[١].

وتطرف الحداثيون في أسباب النزول فمنهم من قال: إن القرآن الكريم ليس له أسباب نزول فـ (بما أن القرآن علم على الحقيقة الموضوعية الموجودة خارج الوعي الإنساني وفيه قوانين الوجود وقوانين التاريخ نستنتج بالضرورة أن لـــه وجودا مسبقا عن التنزيل قـــال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[٢] كما أنه نزل دفعة واحدة في رمضان وبالتالي فهو ليس له أسباب نزول) [٣].

ومنهم من يقول أن كل القرآن له أسباب، يقول سعيد عشماوي: (كل آيات القرآن نزلت على الأسباب وعلى الأخص ما تضمن حكماً شرعياً أو قاعدة أصولية أو نظماً أخلاقية)[٤].

(١) من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، محمد أركون، ترجمة: هاشـم صـالح، ص ٧٤، ط: دار الساقي.

(٢) سورة البروج، الآيتان (٢١، ٢٢).

(٣) انظر: الكتاب والقرآن، محمد شحرور، ص٩٣، ط: الأهالي، سوريا، دمشق، ١٩٩٠م.

(٤) جوهر الإسلام، محمد سعيد عشماوي، ص٢٥، ط: مكتبة مدبولي الصغير.

المطلب الثالث
تاريخية النص وأسباب النزول

إن تاريخية النصِّ الدينيِّ عند الحداثيين يعني: أنَّ النصَّ وليد حقبة زمنية ورقعة مكانية محدَّدة، فهو مُصطبغ بتلك الحقبة الزمنيَّة والمكانيَّة، وهو منفعلٌ بمختلفِ المُؤثِّرات السياسيَّة والفكريَّة، وشأنُه شأنُ سائر النصوص ليس معزولاً عن البيئةِ واللغة التي نشأ فيها، ولا عن التقاليد والأعراف السائدة لحظةَ وجودِه، وهذا يعني أرخنته ويقصدون بالأرخنة: الكشف عن تاريخية الخطاب القرآني، عن طريق ربطه بالبيئة الجغرافية، والطبيعية، والبشرية، والقبائلية لشبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي؛ ومعلوم أن الخطاب القرآني كان قد برع في التغطية على هذه التاريخية، عن طريق ربطه نفسه باستمرار التعالي الذي يتجاوز التاريخ الأرضي كلياً أو يعلو عليه)[1].

يقول أركون: (أريد لقراءتي هذه أن تطرح مشكلة لم تطرح عملياً قط بهذا الشكل من قبل الفكر الإسلامي؛ ألا وهي: تاريخية القرآن، وتاريخيتة ارتباطه بلحظة زمنية وتاريخية معينة، حيث كان العقل يمارس آليته وعمله بطريقة معينة ومحددة)[2].

وقالوا أيضاً: (النصوص المقدسة الدينية من التاريخ ولدت، وفيه تقدست، وبه انفعلت، وفيه أثرت ؛فالتاريخ مجالها، وفي التاريخ أسرارها ومكامنها، وفي التاريخ أساطيرها وأسطورتها)[3].

---

(١) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، ص٢١، ط: دار الطليعة، بيروت، وهذا الكلام في هامش الكتاب لمترجم الكتاب وهو الحداثي: هاشم صالح.

(٢) الفكر الإسلامي، قراءة علمية، محمد أركون، ص ٢١٢.

(٣) ندوة ومواقف (الإسلام والحداثة)، مجموعة من الحداثيين، والمقال للحداثي السوري:=

وقالوا: (إن البعد التاريخي الذي نتعرض له هنا يتعلق بتاريخية المفاهيم التي تطرحها النصوص من خلال منطوقها فليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة في النصوص بل لكل قراءة ــ بالمعنى التاريخي والاجتماعي ــ جوهرها الذي تكشفه في النص)[1].

فالهدف الذي يسعى إليه الحداثيون هو ربط النص القرآني بالمكان والزمان الذين نزل فيهما، ورفض القول بأن القرآن الكريم أحكامه ثابتة وأزلية.

(وهذه التاريخية تهدف إلى ربط النصوص بالبيئة الجغرافية، والطبيعية، والبشرية، والقبائلية لشبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، فما كان ممكنا خلال القرن السادس والقرن السابع، غير معقول بالنسبة للقرن الحادي والعشرين فتصبح دلالة الألفاظ مرتبطة بعهد التنزيل؛ فينتفي مفهوم الحقيقة الثابتة، والمعنى الصواب ؛ليفتح المجال لتعدد المعاني وتجددها بحسب ما يمليه تجدد المعايير والقيم)[2].

فـــ(النصوص المقدسة الدينية من التاريخ ولدت، وفيه تقدست، وبه انفعلت، وفيه أثرت؛ فالتاريخ مجالها، وفي التاريخ أسرارها ومكامنها، وفي التاريخ أساطيرها وأسطورتها؛ كما أن في العلوم التاريخية والإنسانية الحديثة مفاتيحها)[3].

=عزيز العظمة، ط: دار الساقي، وبلدية البيرة، ص ٢٥٩، نقلاً عن: الحداثة في العـــالم العربي، ص١٣٠٣.

(١) مفهوم النص، د. نصر حامد أبو زيد، ص٨٢.

(٢) انظر: قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، ص٢١٠.

(٣) ندوة ومواقف (الإسلام والحداثة)، ص ٢٥٩، نقلاً عن: الحداثـــة فـــي العـــالم العربـــي ص ١٣٠٣.

(في سنة ١٩٨٩م نظمت مكتبة دار الساقي ومجلة مواقف ندوة بلنـــدن حملـــت عنـــوان:=

والخلاصة: أن التاريخية تعني (التحول والتغير، أي تحول القيم وتغيرها بتغير العصور والأزمان. أما الإيمان فيبقى؛ ولكنه يتخذ تجليات مختلفة، ومتحولة أيضاً)(١).

الاستدلال على تاريخية النص بأسباب النزول:

وزعم الحداثيون أن قضية أسباب النزول تدعم القول بتاريخية القرآن فقالوا: (قاعدة تفسير آيات القرآن وفقاً لأسباب تنزيلها تؤدى إلى واقعية هذه الآيات، وتنتهي إلى تاريخيتها، وتفرض ربطها بالأحداث، ومن ثم ينبغي تفسير القرآن بأسباب تنزيله لا بعموم ألفاظه)(٢).

وقالوا: (النصوص الدينية ذاتها نصوص تاريخية نشأت في ظروف اجتماعية خاصة عرفت باسم أسباب النزول)(٣).

ويرون أن جميع الآيات نزلت على أسباب فيقولون: (كل آيات الوحي نزلت في حوادث بعينها. ولا توجد آيات أو سور لم تنزل بلا أسباب، والسبب هو الظرف، أو الحادثة، أو البيئة التي نزلت فيها الآية....، ولما كانت الآية لا تنزل إلا بعد وقوع السبب، كان الأدنى شرط الأعلى ــ مما يعني ــ، أسبقية الواقع على الفكر وأولوية الحادثة على الآية، المجتمع أولاً والوحي ثانياً؛ الناس

=(الإسلام والحداثة)، حضرها جمع بارز من مفكري تيار الحداثة في العالم العربي. منهم: جابر عصفور، وحسن حنفي، وعلي أحمد سعيد "ادونيس" ومحمد اركون، وعزيز العظمة، وغيرهم، وتناولت موضوعات التاريخ والعلمانية والحداثة وغيرها والكلام هنا للحداثي السوري: عزيز العظمة، ط: دار السواقي– بيروت).

(١) من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، محمد أركون، ص٢٦ – ٢٧، ترجمة: هاشم صالح، ط: دار الساقي.

(٢) تحديث العقل الإسلامي، محمد سعيد العشماوي، ص٧.

(٣) هموم الفكر والوطن، حسن حنفي، ج١ ص٧٣.

أولاً والقرآن ثانياً؛ الحياة أولاً والفكر ثانياً)[١].

ويقرر حسن حنفي كذلك أن (آيات القرآن كلها نزلت لأسباب)[٢].

ويقول: (الوحي مجموعة من الآيات نزلت إبان ثلاثة وعشرين عاماً كل آية أو مجموعة آيات تمثل حلاً لموقف معين من الحياة اليومية لفرد أو لجماعة، وكثير من هذه الحلول قد تغيرت وتبدلت حسب التجربة على مقدار الإنسان وقدرته على التحمل وكثير من الحلول لم تكن معطاة من الوحي بل كانت مقترحات من الفرد أو الجماعة ثم أيدها الوحي وفرضها فهي ليست عطاء من الوحي بقدر ما هو فرض من الواقع وتأييد الوحي له وهذا هو معنى أسباب النزول)[٣].

والنصوص عندهم لا تفهم إلا بأسباب نزولها، فما لم يكن له سبب نزول معروف، فلا يجوز تطبيقه ولا العمل به، وبما أن أكثر النصوص من هذا الباب؛ إذن فيجب على الناس أن يجتهدوا في كل زمان في تشريع الأحكام التي تناسب عصرهم بغض النظر عن القرآن، وهم يريدون بذلك تفريغ القرآن من محتواه وجعله أوعية فارغة، وقوالب لا معنى لها، أو لها معنى مقصور على عصر التنزيل فقط.

(وأنه من الضرورة التعامل مع النص القرآني ليس فقط من خلال أسباب النزول، ولكن من خلال سياقه التاريخي في معناه الأشمل، ومن خلال شخصية النبي محمد، وعلاقته بالمجتمع والثقافة، وهذه كلها لا تزال في إطار المحرمات)[٤].

---

(١) ندوة ومواقف الإسلام والحداثة، حسن حنفي، ص ١٣٥ بتصرف يسير، نقلاً عن: الحداثة في العالم العربي، ص١٢٩٤.

(٢) الوحي والواقع ــ دراسة في أسباب النزول ــ، د. حسن حنفي، ص١٣٣ – ١٧٦.

(٣) التراث والتجديد، د. حسن حنفي، ص١٣٥، ١٣٦، ط: المؤسسة الجامعية.

(٤) المأزق في الفكر الديني، ص٢٠٦.

قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الحداثيين:

والحكم عند الحداثيين مقصور على سبب نزوله لا يتعداه إلى غيره بحال من الأحوال، لا نصاً ولا قياساً، ومن ثم شنوا حرباً على قاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) باعتبار أن السبب مخصص للآية ولا تتعداه الآية إلى غيره من الحواس المشابهة والتي بينهما علة مشتركة.

حتى زعموا أن قاعدة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) قد حدثت في فترات الظلام الحضاري والانحطاط العقلي.

وهذا ما يدندن به سيد القمني في كتبه فقال: (وفي عصور التخلف واستخدام الدين لخدمة توجهات أصحاب السلطان تم وضع قاعدة تقول: (إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" وهو ما يفتح الباب على مصراعيه أمام الاستخدام الانتهازي الصريح لنصوص الدين)[(١)].

وقال سعيد عشماوي: (إنَّ معظمَ آياتِ القرآنِ نزلت لأسبابٍ محدَّدة ولم تنزلْ ابتداءً فـــ "إنَّ الحقائق الإمبيريقيَّة"[(٢)] المعطاة عن النصِّ تُؤكِّد انَّه نزل منجَّماً على مدى ثلاثٍ وعشرين سنة، وتُؤكِّد أيضاً على أنَّ كلَّ آيةٍ أو مجموعةٍ من الآيات نزلت عند سببٍ خاصٍّ استوجبَ إنزالُها، والآياتُ التي نزلت ابتداءً ــ أي دون علة خارجية ــ قليلةٌ جداً)[(٣)].

(فكل آيات القرآن نزلت على أسباب حتى وإن تضمنت حكماً شرعياً أو قاعدة أصولية أو نظماً أخلاقية)[(٤)]. يعني أن: (كل آية تتعلق بحادثة بذاتها فهي

---

(١) رب الزمان ودراسات أخرى، سيد محمود القمني، ص١٤٩.

(٢) ومقصوده من الحقائق الإمبيريقة هو النتائج المتحصَّلة عن التجربة والملاحظة الحـــسِّيَّة والتي هي مثل الاستقراء لتاريخ نزول القرآن وأسبابِ النزول.

(٣) أصول الشريعة، أ. محمد سعيد العشماوي، ص ٦١، ط: مكتبة مدبولي الصغير، ط/٤، ١٩٩٤م.

(٤) المرجع السابق، ص ٦٧.

مخصصة بسبب النزول وليست مطلقة)[1]. والخطاب الحداثي لا ينظر إلى أسباب النزول على أنها مناسبات بل يعدها عللاً مؤثرة مما يؤدي إلى هدم عموم الدلالة فـ (الشريعة كانت تنزل لأسباب تقتضيها، وأسباب التنزيل ليست مناسبات لها)[2].

فأسباب النزول تعني العلل التي استوجبت نزول الآيات، وأطلقوا هذه الدعوى إطلاق المسلمات، وأما النتيجةُ هي أنَّ الآيات الكريمة كانت مرتبطة بأسبابٍ وعلل خارجيَّة محدَّدة، استجابةً لمشكلاتٍ وقضايا المجتمعٍ وبما أن المشكلات والظروف والأعراف والثقافات في تجدُّدٍ مستمر لذلك لا يصحُّ تعدية هذه الآيات لظروفٍ ووقائع متجدِّدة ومجتمعاتٍ تتباينُ في أعرافِها وثقافاتِها وبهذا يتضح تاريخيَّة النصِّ الدينيِّ فهو حبيسُ زمنٍ معين وسوف يرد العلماء على هذا كله من خلال المبحث التالي.

(١) الإسلام السياسي، المستشار د. محمد سعيد العشماوي، ص٤٤.

(٢) مفهوم النص. دراسة في علوم القرآن. د. نصر حامد أبو زيد، ص ٩٧، ط: مكتبة الفكر الجديد.

المبحث الثاني
أسباب النزول عند علماء علوم القرآن

المطلب الأول
فوائد أسباب النزول

الحقيقة أن هناك فرق بين سبب النزول كقصة وقعت قبل نزول الآية، وبين السبب الكامن في الآية نفسهـــا، فكل الآيات نزلت لتعالج سبباً معيناً، فهناك آيات للهدايـــة، وآيات للتربية، وآيات للتشريع، فكل الآيات بهذا المعنى نزلت لسبب، وليست كلها نزلت على سبب.

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ (رحمه الله): (قَدْ عُرِفَ مِنْ عَادَةِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي كَذَا فَإِنَّهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهَا تَتَضَمَّنُ هَذَا الْحُكْمَ لَا أَنَّ هَذَا كَانَ السَّبَبَ فِي نُزُولِهَا فَهُوَ مِنْ جِنْسِ الِاسْتِدْلَالِ عَلَى الْحُكْمِ بِالْآيَةِ لَا مِنْ جِنْسِ النَّقْلِ لِمَا وَقَعَ)[1].

وعموماً أسباب النزول على سبب له فوائد منها:

١- الوقوف على خلفيَّة نزول الآيات وهو ما يُلقي الضوءً على الواقع الاجتماعي والثقافي الذي كان عليه الناس في عصر النص، ويكشف شيئاً من عظمة الإسلام حيثُ استطاع تغيير هذا الواقع السيئ الذي كان غارقاً في ظلمات الجهل.

٢- الوقوف على المنهجية التي اعتمدها القرآنُ في معالجة الأزمات والمشكلات الاجتماعية والحقوقيَّة، والثقافيَّة، والاقتصاديَّة وغيرها والتي كانت تكتنف عصر ما قبل النبوة.

(١) مفهوم النص. دراسة في علوم القرآن. د. نصر حامد أبو زيـــد، ص ٩٧، ط: مكتبـــة الفكر الجديد.

٣- كون الله (ﷻ) أنزل الآية مقترنةً بسببها ساعد ذلك على فهم النص وعدم نسيانه لارتباطه بتلك الحادثة وهو ما يعني الاستفادة منه، فالنص المجرد عن الحدث سرعان ما ينسى.

٤- بيان المراد من الآيات، ومثال ذلك قولـــه تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾[1].

(فإن ظاهر الآية لا يقتضي أن السعي فرض؛ لأن رفع الجناح يفيد الإباحة لا الوجوب، وذهب بعضهم إلى هذا تمسكًا بالظاهر، وقد ردَّت عائشة على عروة بن الزبير في فهمه ذلك بما ورد في سبب نزولها، وهو أن الصحابة تأثَّموا من السعي بينهما؛ لأنه من عمل الجاهلية، حيث كان على الصفا إساف، وعلى المروة نائلة، وهما صنمان، وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما) [2] .

فعن عائشة أن عروة قال لها: أرأيت قول الله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[3]. فما أرى على أحدٍ جناحًا ألا يطوَّفَ بهما؟ فقالت عائشة: ﴿ بئس ما قلت يا ابن أختي، إنها لو كانت على ما أوَّلتها كانت: فلا جناح عليه أن لا يطوَّف بهما، ولكنها إنما أنزلت لأنَّ الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلِّون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها، وكان من أهلَّ لها يتحرَّج أن يطوَّف بالصفا والمروة في الإسلام، فأنزل الله: ﴿ ۞ إِنَّ

(١) سورة البقرة، الآية (١٥٨).

(٢) دراسات في علوم القرآن: محمد بكر إسماعيل (المتوفي: ١٤٢٦هـــ)، ج١ ص١٧٤، ط: دار المنار، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـــ-١٩٩٩م، فوائد أسباب النـــزول، وراجـــع: الصحيح المسند.

(٣) سورة البقرة، الآية (١٥٨).

ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ قالت عائشة: ثم قد بَيَّنَ رسول الله (ﷺ) الطواف بهما، فليس لأحد أن يدع الطواف بهما ﴾[1].

(فأسباب النزول من مادة التفسير، وأنها تعين على تفسير المراد، وليس المراد أن لفظ الآية يقصر عليها؛ لأن سبب النزول لا يخصص)[2].

٥- ومنها نتعلم الدعوة إلى الله تعالى، فمنذ زمن بعيد والخطباء يخطبون بطريقة واحدة وهي اختيار نص من التاريخ ثم يقومون بإسقاطه على الواقع، وهذا في رأيي يحدث تشويشا في الذهن، وعدم الارتباط بين النص والواقع والحقيقة أن عكس هذه المسألة هو الذي ينبغي أن يكون وذلك أن يتناول الداعية مشكلة حية يحياها الناس واقعاً ملموساً ثم يلتمس لها من النص ما يدل عليها ويكون حلا لها وعلاجاً فتكون هذه المشكلة بمثابة سبب النزول للآية الكريمة فيحدث ارتباط كبير جداً بين الواقع والنص الإلهي ثم يثني بالتاريخ فالأيام تتشابه.

(١) رواه البخاري. ك: الحج باب: وجوب الصفا والمروة وجعل من شعائر الله ج٢ ص٥٩٢.

(٢) التحرير والتنوير، ج١ ص٢٤.

المطلب الثاني
دعوى جميع الآيات نزلت على أسباب

إن طول الزمن قد يقتضي تعطيل النص ويحكم عليه بتاريخيته وعدم صلاحيته للزمن المعاصر هذا إذا كان النص من وضع البشر مثل القوانين التي هي من وضع البشر يدخل عليها تحسينات أو تلغى فأما إذا كان النص من الله تعالى العالم بالزمان والمكان فلا فقد وضع الله سر بقاء النص فيه ليصلح للزمان كله والمكان كله، فالنص في الإسلام فيه السعة والتيسير التي تتوائم وجميع الناس وكذلك المرونة التي تتماشى مع تغير أحوال الناس في كل زمان ومكان.

فقد جعل الله سبحانه أحكاماً خاصة للمضطر، وشرع الرخص لأصحاب الحاجات حتى في الحدود والعقوبات فأكثرها قسوة أكثرها صعوبة في التطبيق. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1].

أما من ناحية العلم والتطور فقد حث الإسلام على التطور العلمي بأشد ما يكون من التشجيع قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[2].

ونأتي إلى دعواهم أن معظم آيات القرآن الكريم لم تَنزِل ابتداءً، وإنَّما نزَل كلٌّ منها لسببٍ محدَّد، وهذه دعوى لا تصحُّ بل هي في خانةِ الكذب المفضوح المُستهجَن، ذلك لأنَّ مقدار الآيات التي نزلت لسببٍ محدَّد لا يتجاوز عددها ثمانية وثمانين وثمانمائة آية بحسب جمع السيوطي.

وتوسع السيوطي (رحمه الله) في الجمع لأنه جمع كل أسباب النزول حتى الضعيف منها (فالسيوطي (رحمه الله)، توسع فجمع كل الروايات في أسباب

(١) سورة الحج، الآية (٧٨).

(٢) سورة المائدة، الآية (٣٢).

النزول ــ وجميعها أحاديث آحاد)[1].

وأسانيد بعض هذه الروايات ليس أحاديث آحاد فقط بل نجد الكثير منها غيرُ صالحٍ للإثبات التاريخيِّ، ففيها المراسيل، والضعيف السند إما لجهالة رواتها أو بعضهم، أو لكونِهم من الضعفاء والمجروحين، وعلى ذلك لا يثبت بعضها بعد الغربلة والتحقيق.

ولذلك لا يتجاوز عددُها اثنين وسبعين وأربعمائة آية بحسب جمع الواحدي صاحب كتاب أسباب النزول.

كما أن هناك الكثير منها ممن يظنها البعض أسباب نزول هي من باب الأخبار أي الأحداث التي وقعت قبل الآيات بزمن لا ما نزلت في عقبه الآيات. (وَالَّذِي يَتَحَرَّرُ فِي سَبَبِ النُّزُولِ أَنَّهُ مَا نَزَلَتِ الْآيَةُ أَيَّامَ وُقُوعِهِ لِيُخْرِجَ مَا ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي سُورَةِ الْفِيلِ مِنْ أَنَّ سَبَبَهَا قِصَّةُ قُدُومِ الْحَبَشَةِ بِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ أَسْبَابِ النُّزُولِ فِي شَيْءٍ بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ عَنِ الْوَقَائِعِ الْمَاضِيَةِ)[2].

وكثير ممن يظن أنه من أسباب النزول هو من باب إنزال الآية على الحكم أي من باب التفسير، قَالَ الزَّرْكَشِيُّ (رحمه الله): (قَدْ عُرِفَ مِنْ عَادَةِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إذَا قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي كَذَا فَإِنَّهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهَا تَتَضَمَّنُ هَذَا الْحُكْمَ لَا أَنَّ هَذَا كَانَ السَّبَبَ فِي نُزُولِهَا فَهُوَ مِنْ جِنْسِ الِاسْتِدْلَالِ عَلَى الْحُكْمِ بِالْآيَةِ لَا مِنْ جِنْسِ النَّقْلِ لِمَا وَقَعَ)[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (قولهم نزلت الآية في كذا يراد به تارة سبب

(١) سقوط الغلو العلماني، د. محمد عمارة، ص ٢٢٥.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفي: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١ ص١١٦، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

(٣) المرجع السابق، نفس الجزء، ونفس الصفحة.

النزول ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب كما تقول: عني بهذه الآية كذا)[١].

إذاً فهذه تسمى مناسبات وليست أسباب نزول وهي نوعان إما واقعة حال، أو بسبب وقوع سؤال لكن غالب القرآن وأمه نزل ابتداء.

(فمن الإفراط في علم سبب النزول أن نتوسع فيه، ونجعل منه ما هو من قبيل الإخبار عن الأحوال الماضية، والوقائع الغابرة، ولذا يُعرَّف سبب النزول بأنه: هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال)[٢].

قال الجعبري (رحمه الله): (نزول القرآن على قسمين. قسم نزل ابتداء، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال)[٣].

يقول د. محمد عمارة (رحمه الله): (إن الجواب الإحصائي الاستقرائي لآيات أسباب النزول حتى الواهي سندا والتي أحصيناها عددا فوجدنا المدقق منها بحسب جمع الواحدي٤٧٢ آية من مجموع آيات القرآن وهو ٦٢٣٦ آية أي بنسبة ٧,٥% بينما بلغ جمع السيوطي وهو من توسع في ذلك ٨٨٨ أي بنسبة ١٤% فأين هي افتراءات الحداثيين بأن كل آيات القرآن نزلت على أسباب)[٤].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفي: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، ج١٢، ص٢٩٣، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

(٢) مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ج١ ص٧٨، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفي: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١ ص ٨٧، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

(٤) انظر: سقوط الغلو العلماني، د. محمد عمارة، ص٢٥٥، ط: دار الشروق، ٢٠٠٢م.

قلت: والواقع أننا لو عدنا إلى أسباب النزول للإمام السيوطي وقمنا بإحصاء أسباب النزول لوجدناها أقل من ذلك فهي ٦٣٥ وكذلك لو عدنا لأسباب النزول للواحدي لوجدناها أقل من ذلك بمائتين تقريبا أي ٤٦٢ ولو ذهبنا للمسند الصحيح من أسباب النزول لوجدناه (٢٠٠) آية فقط أي أقل من الواحدي بمائتين أيضاً [١].

وقد أحصيت المسند منها وقارنته بعدد ما جاء عند الإمامين السيوطي والواحدي وهذا جدول يبين عدد الآيات التي نزلت على سبب.

الآيات التي ورد لها أسباب نزول

م	اسم السورة	عدد آياتها	ماروى فيه السيوطي سبب نزول	ما روى فيه الواحدي سبب نزول	المسند من أسباب النزول
١	الفاتحة	٧	–	–	–
٢	البقرة	٢٨٦	٨٧	٧٦	٣١
٣	آل عمران	٢٠٠	٦٠	٤٧	١٤
٤	النساء	١٧٦	٧٠	٦٤	٢٤
٥	المائدة	١٢٠	٤١	٢١	١١
٦	الأنعام	١٦٥	٢٢	١٧	٢
٧	الأعراف	٢٠٦	٧	٥	٢
٨	الأنفال	٧٥	٢٤	١٠	١٠
٩	التوبة	١٢٩	٣٤	٢٥	١٠

(١) راجع كتاب: الصحيح المسند من أسباب النزول، عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي، ط: مكتبة صنعاء الأثرية.

م	اسم السورة	عدد آياتها	ماروى فيه السيوطي سبب نزول	ما روى فيه الواحدي سبب نزول	المسند من أسباب النزول
١٠	يونس	١٠٩	١	٢	–
١١	هود	١٢٣	٢	٢	٢
١٢	يوسف	١١١	٢	١	١
١٣	الرعد	٤٣	٥	٤	١
١٤	إبراهيم	٥٢	١	–	١
١٥	الحجر	٩٩	٤	٤	–
١٦	النحل	١٢٨	٩	٨	٤
١٧	الإسراء	١١١	٤	٩	٤
١٨	الكهف	١١٠	٥	٤	–
١٩	مريم	٩٨	٣	٣	٢
٢٠	طـــه	١٣٥	٣	٢	–
٢١	الأنبياء	١١٢	٣	١	١
٢٢	الحج	٧٨	٧	٤	٢
٢٣	المؤمنون	١١٨	٣	٣	١
٢٤	النور	٦٤	١٦	١٢	٦
٢٥	الفرقان	٧٧	٤	٣	٣
٢٦	الشعراء	٢٢٧	٢	–	–
٢٧	النمل	٩٣	–	–	–

م	اسم السورة	عدد آياتها	ماروى فيه السيوطي سبب نزول	ما روى فيه الواحدي سبب نزول	المسند من أسباب النزول
٢٨	القصص	٨٨	٤	٤	٢
٢٩	العنكبوت	٦٩	٥	٥	١
٣٠	الروم	٦٠	٣	١	–
٣١	لقمان	٣٤	٢	٥	١
٣٢	السجدة	٣٠	٣	٢	١
٣٣	الأحزاب	٧٣	١٥	١٣	١٢
٣٤	سبأ	٥٤	٢	–	–
٣٥	فاطر	٤٥	٣	–	–
٣٦	يس	٨٣	٣	٢	٢
٣٧	الصافات	١٨٢	٥	–	–
٣٨	ص	٨٨	١	١	–
٣٩	الزمر	٧٥	٧	٧	٣
٤٠	غافر	٨٥	٤	٢	–
٤١	فصلت	٥٤	٣	–	١
٤٢	الشورى	٥٣	٤	٣	٢
٤٣	الزخرف	٨٩	٤	١	١
٤٤	الدخان	٥٩	٣	١	١
٤٥	الجاثية	٣٧	٢	١	١

م	اسم السورة	عدد آياتها	ماروى فيه السيوطي سبب نزول	ما روى فيه الواحدي سبب نزول	المسند من أسباب النزول
٤٦	الأحقاف	٣٥	٤	٢	٢
٤٧	محمد	٣٨	٤	–	–
٤٨	الفتح	٢٩	٦	٣	٣
٤٩	الحجرات	١٨	١٣	١٠	٤
٥٠	ق	٤٥	٣	١	–
٥١	الذاريات	٦٠	٣	–	–
٥٢	الطور	٤٩	–	–	–
٥٣	النجم	٦٢	٤	٣	–
٥٤	القمر	٥٥	٣	٢	٢
٥٥	الرحمن	٧٨	١	–	–
٥٦	الواقعة	٩٦	٤	٣	١
٥٧	الحديد	٢٩	٣	٢	–
٥٨	المجادلة	٢٢	٨	٨	٣
٥٩	الحشر	٢٤	٤	٤	٤
٦٠	الممتحنة	١٣	٥	٤	٢
٦١	الصف	١٤	٤	٢	١
٦٢	الجمعة	١١	١	١	١
٦٣	المنافقون	١١	٣	١	٢

م	اسم السورة	عدد آياتها	ماروى فيه السيوطي سبب نزول	ما روى فيه الواحدي سبب نزول	المسند من أسباب النزول
٦٤	التغابن	١٨	٣	١	١
٦٥	الطلاق	١٢	٢	٣	–
٦٦	التحريم	١٢	٣	٢	٢
٦٧	الملك	٣٠	–	١	–
٦٨	القلم	٥٢	٢	٢	–
٦٩	الحاقة	٥٢	١	١	–
٧٠	المعارج	٤٤	٢	٢	–
٧١	نوح	٢٨	–	–	–
٧٢	الجن	٢٨	٥	–	١
٧٣	المزمل	٢٠	١	–	١
٧٤	المدثر	٥٦	٣	٢	٢
٧٥	القيامة	٤٠	٣	١	٢
٧٦	الإنسان	٣١	٣	١	–
٧٧	المرسلات	٥٠	١	–	–
٧٨	النبأ	٤٠	١	–	–
٧٩	النازعات	٤٦	٣	–	١
٨٠	عبس	٤٢	٢	٢	١
٨١	التكوير	٢٩	٢	١	–

م	اسم السورة	عدد آياتها	ماروى فيه السيوطي سبب نزول	ما روى فيه الواحدي سبب نزول	المسند من أسباب النزول
٨٢	الانفطار	١٩	١	–	–
٨٣	المطففين	٣٦	١	١	١
٨٤	الانشقاق	٢٥	–	–	–
٨٥	البروج	٢٢	–	–	–
٨٦	الطارق	١٧	١	١	–
٨٧	الأعلى	١٩	١	–	–
٨٨	الغاشية	٢٦	١	–	–
٨٩	الفجر	٣٠	١	–	–
٩٠	البلد	٢٠	–	–	–
٩١	الشمس	١٥	–	–	–
٩٢	الليل	٢١	١	٢	–
٩٣	الضحى	١١	٥	٣	١
٩٤	الشرح	٨	–	–	–
٩٥	التين	٨	١	–	–
٩٦	العلق	١٩	١	١	١
٩٧	القدر	٥	٣	١	–
٩٨	البيِّنة	٨	–	–	–
٩٩	الزلزلة	٨	٢	٢	–

م	اسم السورة	عدد آياتها	ماروى فيه السيوطي سبب نزول	ما روى فيه الواحدي سبب نزول	المسند من أسباب النزول
١٠٠	العاديات	١١	١	١	–
١٠١	القارعة	١١	–	–	–
١٠٢	التكاثر	٨	١	١	–
١٠٣	العصر	٣	–	–	–
١٠٤	الهمزة	٩	١	١	–
١٠٥	الفيل	٥	–	–	–
١٠٦	قريش	٤	١	–	–
١٠٧	الماعون	٧	١	١	–
١٠٨	الكوثر	٣	١	١	–
١٠٩	الكافرون	٦	٢	١	–
١١٠	النصر	٣	١	١	–
١١١	المسد	٥	٣	٢	١
١١٢	الإخلاص	٤	١	١	
١١٣	المعوذتان	٥	١	١	–
		٦٢٣٦	٦٣٥	٤٦٢	٢٠٠

إن أسباب النزول ليست منشئة للآيات ولا هي علة التشريع وإنما هي مناسبات تساعد مع عوامل أخرى في فهم الآيات كما أن علم التفسير قد نضج قبل التأليف في أسباب النزول(١).

(١) أسباب النزول للواحدي مقدمة الكتاب السيد أحمد صقر ص٢٣.

ونزول القرآن مفرقاً مثل منهجاً تربوياً وهو تدبر المعنى وإعطاء فرصة للعمل به قال تعالى: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾[1].

ومنها التأكيد على أنَّ النبي لا يضع الأحكام من عند نفسه بل ينتظر كلَّما استُفتي في شأنٍ ــ لم يتصدَّ القرآن قبلُ لبيان حكمه ــ أو وقعت قضيَّةٌ ينتظرُ حكمَ الله تعالى فإذا جاء حكمُ الله فصدَعَ به، فالكثيرُ من الوقائع التي اقترن النزول بها كان الرسول يظلُّ ساكتاً عنها ولا يُبدي فيها حكماً ثم تنزلُ آيةٌ بعد حدوث الواقعةٍ فلا يأتي بالأحكام من عند نفسه بل ينتظرُ فيها حكمَ الله تعالى.

(١) سورة الإسراء، الآية (١٠٦).

المطلب الثالث

قاعدة العبرة بعموم اللفظ[1] لا بخصوص السبب

العقل يقول أن سياق الآيات التي نزلت على أسباب هي للناس جميعاً عدا ما صرفه صارف من الآيات ــ وهو قليل جداً ــ ومثال الأول: عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى أَنَّ كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ حَدَّثَهُ قَالَ: ﴿وَقَفَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) بِالْحُدَيْبِيَةِ وَرَأْسِي يَتَهَافَتُ قَمْلًا فَقَالَ يُؤْذِيكَ هَوَامُّكَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَاحْلِقْ رَأْسَكَ أَوْ قَالَ احْلِقْ قَالَ فِيَّ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ ﴾ إِلَى آخِرِهَا فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَوْ تَصَدَّقْ بِفَرَقٍ بَيْنَ سِتَّةٍ أَوِ انْسُكْ بِمَا تَيَسَّرَ ﴾[2].

---

(١) هناك فرق بين عموم اللفظ واللفظ العام قال الغزالي (رحمه الله): وجميع عمومات الشرع مخصصة بشروط في الأصل والمحل والسبب، وقلما يوجد عام لا يخصص مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فإنه باق على عمومه. والأدلة التي يخصص بها العموم هي:

ــ دليل الحس: ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ فإن ما كان في يد سليمان لم يكن في يدها وهو شيء.

ــ دليل العقل: ومنه قوله تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ إذ خرج عنه ذاته وصفاته.ــ النص الخاص يخصص العام، ومنه قوله (ﷺ): ﴿**فيما سقت السماء العشر**﴾ فإنه يعم ما دون النصاب وقد خصصه قوله (ﷺ): ﴿**ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة**﴾ وقوله: ﴿**فتحرير رقبة**﴾ فإنه يعم الكافرة وخصص بقوله ﴿**فتحرير رقبة مؤمنة**﴾.

ــ المفهوم بالفحوى: ومنه تحريم ضرب الأب حيث فهم من النهي عن التأفيف ومنه قوله: في سائمة الغنم زكاة فأخرجت المعلوفة من مفهوم اللفظ وهكذا..، المستشفى في علم الأصول، حمد بن محمد الغزالي، أبو حامد، ص ٢٤٤ – ٢٤٨ بتصرف واختصار، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، أولى ١٤١٣هـ.

(٢) رواه البخاري، كتاب: أبواب الإحصار وجزاء الصيد، باب: قول الله تعالى: ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾، وهي إطعام ستة مساكين، ج٢ ص٦٤٤.

وعن سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ أَنَّهُ رَأَى مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ فِي الْمَسْجِدِ فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَأَخْبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) أَمْلَى عَلَيْهِ ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّهَا عَلَيَّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ وَاللهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ وَكَانَ أَعْمَى فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ (ﷺ) وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[1].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا وَزَنَوْا وَأَكْثَرُوا فَأَتَوْا مُحَمَّدًا (ﷺ) فَقَالُوا إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً فَنَزَلَ ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ وَنَزَلَتْ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[2].

فواضح من تلك النصوص أن الأمر للناس جميعاً وهذا معنى قولهم: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهي كما ترى تنسف المقولة الحداثية نسفاً، والتي تقول بتاريخية القرآن نظراً لنزوله على أسباب ولذا عمد الحداثيون إلى التشكيك في تلك القاعدة، وأنها من اختراع فقهاء السلاطين، يقول سيد القمني: (واستخدام الدين لخدمة توجهات أصحاب السلطان تم وضع قاعدة تقول:" إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" وهو ما يفتح الباب على مصراعيه أمام الاستخدام الانتهازي الصريح لنصوص الدين)[3].

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: قول الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ج٤ ص١٦٧٧.

(٢) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب: سورة الزمر، ج٤ ص١٨١١.

(٣) الإتقان، ج١ ص ١١١.

ويقصد بذلك أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ وعلى فرض صحة هذا الرأي من الذين قال به بعض العلماء فإنهم رأوا أن يتعدى السبب لأفراد تلك الحوادث المشابهة من باب القياس الجلي لا من باب عموم اللفظ، فأصحاب هذا القول رأوا أنه ما كان فيه نفس علة سبب النزول فله نفس الحكم لكنه من باب القياس الجلي، وليس من باب عموم اللفظ فالخلاف هو هل يدخل السبب في النص بعمومه أم بالقياس؟.

فقال غير الجمهور: (إن العبرة بخصوص السبب. ومعنى هذا أن لفظ الآية يكون مقصورا على الحادثة التي نزل هو لأجلها أما أشباهها فلا يعلم حكمها من نص الآية إنما يعلم بدليل مستأنف آخر هو القياس إذا استوفي شروطه)[1].

فمن قال إن العبرة بخصوص السبب لم يقصدوا أن حكم الآية يختص بأولئك الأعيان دون غيرهم فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق.

والراجح رأي الجمهور وهو أن النص الوارد على سبب خاص ولفظه عام فحكمه يفيد العموم ما لم يقترن به ما يخصصه، أو قام دليل يوجب قصره على السبب. وقد نبه على ذلك العلامة ابن دقيق العيد (رحمه الله)، فيما نقله عنه تاج الدين السبكي (رحمه الله) فقال: (يجب أن يتنبه للفرق بين دلالة السياق والقرائن على تخصيص العام وعلى مراد المتكلم، وبين ورود العام على سبب، ولا تجري مجرى واحد، فإن مجرد ورود العام على سبب لا يخصصه، وأما السياق والقرائن فإنها الدالة على المراد، وهي المرشدة إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات. قال: فاضبط هذه القاعدة فإنها مفيدة في مواضع لا تحصي)[2].

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرقاني (المتوفي: ١٣٦٧هـ)، ج١ ص١٢٥، ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

(٢) الأشباه والنظائر، للسبكي، ١٣٥/٢.

ومن الأدلة على اعتبار عموم اللفظ هو (احتجاج الصحابة وغيرهم في وقائع بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة شائعاً ذائعاً بينهم)[١].

أدلة رجحان قول الجمهور:

والحق أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، خلافاً للمزني وأبي ثور؛ فإنهما زعماً أن خصوص السبب يكون مخصصاً لعموم اللفظ)[٢].

قال الإمام السيوطي (رحمه الله): (والأصح عندنا الأول ــ أي العبرة بعموم اللفظ ــ وقد نزلت آيات في أسباب واتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها وحد القذف في رماة عائشة، وآية اللعان في شأن هلال بن أمية، وكنزول آية الظهار في سلمة بن صخر ثم تعدى إلى غيرهم. ومن لم يعتبر عموم اللفظ قال: خرجت هذه الآيات ونحوها لدليل آخر كما قصرت آيات على أسبابها اتفاقاً لدليل قام على ذلك)[٣].

ويقول الإمام السيوطي (رحمه الله): (ومن الأدلة على اعتبار عموم اللفظ احتجاج الصحابة وغيرهم في وقائع بعموم آيات نزلت على فهل كان الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ يجاملون السلاطين على أسباب خاصة شائعاً ذائعاً بينهم)[٤].

إذا عرفت أن الأرجح اعتبار عموم اللفظ دون خصوص السبب، فلا نعتقد أن ينسحب العموم في كل ما ورد وصدر؛ بل إنما نعمم حيث لا معارض. وفي المعارض أمثلة: منها: حديث النهي عن قتل النساء والصبيان، أخذ أبو حنيفة

---

(١) الإتقان، ج١ ص١١١.

(٢) المحصول، للرازي، (١٢٥/٣).

(٣) رب الزمان ودراسات أخرى، سيد محمود القمنى، ص١٤٩.

(٤) الإتقان، ج١ ص ١١١.

بعمومه وقال: المرأة المرتدة لا تقتل، وخصصناه نحن بسببه فإنه ورد في امرأة مقتولة مر عليها رسول الله (ﷺ) في بعض غزواته، فنهى إذ ذاك عن قتل النساء والصبيان لحديث: ﴿ من بدل دينه فاقتلوه ﴾ وغيره من الأدلة[١].

فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ما لم تكن هناك قرينة تخصيص، فإن لم تكن فالقول بالتعميم ظاهر كل الظهور، بل لا ينبغي أن يكون في التعميم خلاف.

قال ابن تيمية (رحمه الله): (والذي عليه جماهير الناس أنه يجب الأخذ بعموم القول ما لم يقم دليل يوجب القصر على السبب)[٢].

وقال الغزالي (رحمه الله): (ولا نعرف خلافاً بين القائلين بالعموم في جواز تخصيصه إما بدليل العقل أو السمع أو غيرها)[٣].

وقال الزركشي (رحمه الله): (والحاصل أن مذهب الشافعي العمل بالعموم إلا أن يقوم دليل يقتضي القصر على السبب فحينئذٍ يُرجع إليه)[٤].

ومن قرائن العموم حديث مسلم عن عبد الله قال: ﴿جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال يا رسول الله إني عالجت امرأة في أقصى المدينة وإني أصبت منها ما دون أن أمسها ــ فأنا هذا ــ فاقض فيَّ ما شئت، فقال عمر: لقد سترك الله لو سترت نفسك، قال فلم يَرد النبي شيئاً فقام الرجل فانطلق فأتبعه النبيَّ رجلاً دعاه ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ

(١) الأشباه والنظائر، للسبكي، ١٣٦/٢.

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ج٢ ص٧٦، ط: دار ابن حزم، بيروت، أولى، ١٤١٧هـ.

(٣) المستصفى في علم الأصول، محمد بن محمد الغزالي، ص ٢٤٤، ط: دار الكتب العلمية.

(٤) البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ج٢ ص٣٦٣، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، أولى ١٤٢١هـ.

﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[1] فقال رجل من القوم يا نبي الله هذا له خاصة قال بل للناس كافة ﴾[2].

فهذه واقعة خاصة، وسبب خاص، ولكن جعل النبي الآية المترتبة على السبب أو الواقعة عامة في الحكم.

وهناك أيضاً من السنة ما يدل على هذه القاعدة أن العبرة بعموم اللفظ ومنه ما رواه البخاري عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: ﴿ كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد بن أبي وقاص أن ابن وليدة[3] زمعه مني فاقبضه قالت فلما كان عام الفتح أخذه سعد بن أبي وقاص وقال ابن أخي قد عهد إليَّ فيه فقام عبد بن زمعة فقال أخي وابن وليدة أبي وُلِد على فراشه فتساوقا إلى النبي (ﷺ) فقال سعد: يا رسول الله ابن أخي كان قد عهد إليَّ فيه فقال عبد بن زمعة أخي وابن وليدة أبي ولد على فراشه فقال رسول الله هو لك يا عبدُ بن زمعة ثم قال النبي (ﷺ) الولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم قال لسودة بنت زمعة احتجبي منه لما رأى من شبهه بعتبة فما رآها حتى لقي الله ﴾[4].

فلفظ الولد للفراش حكمه عام مع أنه ورد في سبب خاص، قال الزركشي: (وقد عملوا بحديث الولد للفراش مطلقاً في الإماء والحرائر مع أنه ورد التداعي في ولد المملوكة)[5].

---

(١) سورة هود، الآية (١١٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب: التوبة، باب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ ج٤٤ ص٢١١٦.

(٣) أي خادمتها وأمتها.

(٤) رواه البخاري، كتاب: البيوع، باب: تفسير المشبهات، ج ٢ ص ٧٢٤، مرجع سابق.

(٥) البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، ج ٢ ص ٣٦٣، مرجع سابق.

وما رواه البخاري عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: ﴿أتتها بريرة تسألها في كتابتها[1] فقالت إن شئت أعطيت أهلك ويكون الولاء[2] لي وقال أهلها إن شئت أعطيتها ما بقي وقال سفيان مرة إن شئت أعتقها[3] ويكون الولاء لنا فلما جاء رسول الله ذكَّرته ذلك فقال النبي (ﷺ) ابتاعيها فأعتقيها فإن الولاء لمن أعتق ثم قام رسول الله على المنبر، وقال سفيان مرة فصعد رسول الله على المنبر فقال ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليس في كتاب الله من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فليس له وإن اشترط مائة شرط﴾[4].

فلفظ (كل شرط ليس في كتاب الله فليس بشرط) حكمه عام وإن ورد على سبب خاص.

قال ابن تيمية: (وهذا الحديث وإن خرج بسبب شرط الولاء لغير المعتق فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند عامة الفقهاء وهو مجمع عليه في هذا الحديث)[5].

ومن القرائن التي تدل على قصر اللفظ العام ما رواه البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال: ﴿ضحى خال لي يقال له أبو بردة قبل الصلاة فقال له رسول الله (ﷺ) شاتك شاة لحم فقال يا رسول الله إن عندي دَاجِناً جَزَعة[6] من المعز قال أذبحها ولن تصلح لغيرك...

---

(١) المكاتبة: تعهد العبد بدفع مال لسيده مقابل عتقه.

(٢) الولاء: نسب المعتق وإرثه مقابل العتق.

(٣) أي أن سفيان حدَّث به على وجهين.

(٤) رواه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد، ج ٢ ص ٩٨١، مرجع سابق.

(٥) مجموع الفتاوى، ج٣١ ص٤٤، ط: مكتبة ابن تيمية، ثانية.

(٦) الجزعة: ما لها ستة أشهر.

الحديث ﴾[1].

فقول النبي (ﷺ) ﴿**ولن تصلح لغيرك**﴾ قرينة قصرت هذا الحكم على صاحب الواقعة فقط.

والنص الوارد ابتداءً على العموم ولم يورد على سبب فالأصل أن حكمه عام لجميع المكلفين (وَكُلُّ عَامٍّ وَرَدَ مُبْتَدَأً بِطَرِيقِ الِاسْتِقْلَالِ فَلَا خِلَافَ فِي عُمُومِهِ عِنْدَ الْقَائِلِينَ بِالْعُمُومِ)[2].

وبهذا يتبين قوة رأي الجمهور والله أعلم؛

والخلاف كما ترى لفظي: فـ (حكم النص العام الوارد على سبب يتعدى عند هؤلاء وهؤلاء إلى أفراد غير السبب. بيد أن الجمهور يقولون إنه يتناولهم بهذا النص نفسه وغير الجمهور يقولون إنه لا يتناولهم إلا قياسا أو بنص آخر)[3].

دحض القول بتاريخية النص القرآني:

وبذلك يتبين بطلان ما استدلوا عليه من إبطال النص وفكرة التاريخية التي تعني تحنيط النص وزمنيته وكأنه أثر من الآثار باستدلالهم على ذلك بأسباب

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الأضاحي، باب: قول النبي لأبي بردة، ج ٥ ص ٢١١٢، مرجع سابق. قال ابن حجر واستشكل بعض الناس إذن النبي (ﷺ) لغير أبي بردة بذبح جزعة من المعز قال: والحق أنه لا منافاة بين هذه الأحاديث لاحتمال أن يكون ذلك في ابتداء الأمر ثم قرر الشرع بأن الجزع من المعز لا يجزئ. انظر: فتح الباري، كتاب: الأضاحي، باب: قول النبي لأبي بردة، ج ١٠ ص ١٥، مرجع سابق

(٢) الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفي: ٦٣١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، ج٢ ص٢٣٩، ط: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، لبنان.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن: ج١ ص١٢٥، مرجع سابق.

النزول وكلامهم كما ترى في الميزان العلمي لا وزن ولا قيمة حيث خلا من الضوابط العلمية وكان يمكن أن يرمى به ولا يلتفت لضياع الوقت فيما لا طائل وراءه لكن لولا خشية الفتنة التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾[1].

وإلا فلماذا عني القرآن الكريم بذكر القصص قبلنا وهي ما يقارب ربع القرآن إلا لأخذ العبرة منها فالأيام تتشابه وإذا كنا نخاطب هؤلاء الحداثيين على أنهم مؤمنين بالقرآن فماذا يقولون في قوله تعالى: ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴾[2] وقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[3]، من الآيات التي تفيد الحال والاستقبال إننا لا نبعد النجعة لو قلنا إن الهدف من هذه الحملة هو إسقاط هيبة النص القرآني من القلوب.

كما أن هناك نوع هذه الأسباب كان موجوداً وشائعاً قبل نزول الآياتِ فلم تقترن الآيات بوقت حدوثه ثم نزلت بالوقت الذي اختاره الله (ﷻ) لبيان حكم مثل هذه الواقعة، ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾[4].

كما أن القرآن الكريم اشتمل على العقائد كالتوحيد والبعث وصفات الله تعالى وأسمائه وأنَّه الخالق لكلِّ شيءٍ، والمدبِّرُ لشئون الكون والعالمُ بكلِّ ما دقَّ

(١) سورة آل عمران، الآية (٧).
(٢) سورة محمد، الآية (١٠).
(٣) سورة الإسراء، الآية (٩).
(٤) سورة النساء، الآية (٢٢).

وصغر فيه فأيُّ معنىً لتاريخيَّة هذه الآيات واختصاصِها بسبب النزول وكذلك الأخلاق والعبادات فهل العقيدة تكون لزمن دون زمن وكذلك الأخلاق التي أمرنا أن تكتنف المعاملات فهل هي لزمن دون زمن؟ والعدل والصدق كانت للماضي فقط دون الحاضر؟

كما أنه لا يشترط أن يرتبط سبب نزول الآية بزمان أو مكان الذي وقعت فيه فوارد جداً أن يتكرر هذا الفعل في أزمنة أخرى، ومثاله سبب قولـــه تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[1] فهل هذا مرتبط بهذا الفرد فقط فالأحداث تتشابه وهذا من سنن الحياة وقديماً قالوا ما أشبه الليلة بالبارحة.

وهناك آيات رغم نزولها على سبب إلا أنَّها صِيغت بطريقةٍ التعميم لتعم الزمان كله ومثاله الجزاء المترتِّب على أكْلِ مال اليتيم ظلماً: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾ ﴾[2].

والقرآن الكريم موجوداً قبل الأسباب ثم نزل موافق لبعضها للفوائد التي ذكرنا في ثنايا البحث.

(إن القول بربط الأحكام التشريعية القرآنية بأسباب نزولها وقصرها على من نزلت فيهم يعني تاريخية المضمون ونسخ المفهوم وبقاء اللفظ دون وظيفة اللهم إلا التلاوة التعبدية فهل هذا نوع الحفظ الذي أراده الله للقرآن)[3] عندما قـــال: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[4].

(١) سورة هود، الآية (١١٤).

(٢) سورة النساء، الآية (١٠).

(٣) المرجع السابق، ص٢٤٧.

(٤) سورة الحجر، الآية (٩).

إن النتيجة التي يريد أن يصل إليها الحداثيون في كتابتهم هي أن القرآن الكريم قابل للنقد كغيره وهو بذلك يريد (إحالة أحكام القرآن إلى متحف الديانات ومخزن التاريخ ذلك عندما ادعى أن كل آيات القرآن لها أسباب نزول وأن هذه الأسباب التاريخية المنقضية تجاوزها التطور والواقع والتاريخ وهي علة تشريع الأحكام والواقع الذي صنع النص القرآني أو استدعاه وأن الأحكام قد انقضت بانقضاء الأسباب التي سببها)[١].

قال حسن حنفي: (النص في النهاية نص لا فرق بين النص الديني والنص الأدبي الكل إبداع) [٢]. وكان بوسعنا أن ننكر كلامهم جملة لكن الخطورة تنطوي على أن بعض العامة قد يغرى بهم، فلذا رددنا عليهم بغية كشف زيفهم لمن هوس بهم.

(١) سقوط الغلو العلماني، د. محمد عمارة، ص٢٣٢، ط: دار الشروق، ٢٠٠٢م.

(٢) حوار الأجيال، حسن حنفي، ج٢ ص٤١.

الخاتمة

إن ما توصل إليه الحداثي من الشبهات الحداثية نبعت من فكرهم المتحجر والمفرط في الحساسية من الدين، والناقض لكل المسلمات الإسلامية، وطريقه لذلك طرائق منهجية غربية ليس لها صلة بثقافتنا الإسلامية.

وإن أكبر دليل على صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان هو الواقع، فما نراه من انتشار وباء الكورونا والإيدز وكلها جاءت بأسباب مخالفة للشريعة الإسلامية وهي ترك الطيبات من الطعام والزوجات الحلائل.

ولو أنصف هؤلاء لنادوا بتطبيق الشرع الحكيم حتى عند من لا يؤمن به لأننا كلنا في سفينة واحدة، ولسنا بعيدين عن تلك الأنواء بعدما أعلنت منظمة الصحة العالمية أنه أصبح وباء عالمياً وفعلاً هذا ما يفعله عقلاء الغرب من العودة للتدين إنقاذا للبشرية من الانهيار.

ففي رحلة إلى بعض الدول الإسكندنافية ــ النرويج ــ قال الشيخ: محمد بن ناصر العبودي الأمين المساعد لرابطة العلم الإسلامي في إحصائية لمنظمة الصحة العالمية (وجدوا أن هذه البلاد الإسكندنافية من أكثر بلاد العالم انتحاراً، مع العلم أن جميع الحاجات المادية متوفرة لهم من ضمان ضد البطالة، وتأمين للحياة من مطعم ومشرب ومسكن، وكل هذا لم يسعدهم، وكثر المنتحرون، فألفوا لجنة على مستوى عال لمعرفة السبب، فوجدوا بعد بحث طويل أن سبب كثرة الانتحار في بلادهم هو أن المنتحرين بعيدين عن الدين، وأن الدين يسعد الناس، فقالوا أنه لا علاج إلا بنشر التدين، وقالوا الدين يعطي طمأنينة وسعادة لا تعطيها الماديات، فالماديات تعطي سعادة مؤقتة، وسعادة الإيمان تكون أصيلة في القلوب فيمنع الدين من البؤس، لذلك اعترفوا بالديانات الثلاث، وشجعوا التدين عن طريق دفع مساعدات مادية ــ أربع مرات في العام ــ للمؤسسات

الدينية ومنها لجمعيات الإسلامية ولحقت السويد بالنرويج وكذلك فنلندا، ومعنى هذا أن الطبيعة السوية لا تنشأ إلا في ظل التدين ويعقب الشيخ مجمد بن ناصر العبودي بقوله وللأسف بعض الحكومات الإسلامية تجارب التدين، وكلما كان الإنسان متدينا بصورة عملية صحيحة، ظنوه ضدهم قلت الحكومات تشجع التدين الروحي والشكلي أما التدين التطبيقي الذي يدعو للعد فتحاربه بقوة)[١].

وقد تحدث إريك فروم[٢] عن الأسلوب المهيمن في المجتمع الغربي ــ أسلوب التملك المادي المبني على الجشع والحسد والعدوان ــ ويرى أن هذه المادية تهدد كوكبنا بالدمار ويرى البديل في سمو القيم الإنسانية والروح على المادة وتوصل إلى ما يشبه الحل الإسلامي في الجمع ين المادة والروح فيقول: (فإن توليفا جديدا سيكون البديل الوحيد من الفوضى والخلط الشاملين التوليف بين الجوهر الروحاني للعصر الوسيط المتأخر وتطور العلم والتفكير العقلاني منذ عصر النهضة وهذه التوليفة هي مدينة الكينونة)[٣] ويقصد مدينة الوجود

(١) إذاعة القرآن الكريم السعودية، الخميس الساعة العاشرة والنصف صباحاً ١٤٣٦/٥/٧هـ -٢٠١٥/٢/٢٦م في برنامج: المسلمون في العالم مشاهد ورحلات، ضيف الحلقة: الشيخ/مجمد بن ناصر العبودي، الأمين المساعد لرابطة العلم الإسلامي.

(٢) فروم، إريك (١٩٠٠ ــ ١٩٨٠م). كان محللاً نفسيًا اجتماعيًا ألماني المولد، أصبح مؤيدًا بارزًا لفكرة أن أغلب سلوك الإنسان هو استجابة للظروف الاجتماعية المحيطة به. وبتبني هذه الرؤية رفض فروم أغلب ما في نظرية المحلل النفساني الشهير سيجموند فرويد، إذ كان فرويد يتمسك بأن الغرائز تحدد أغلب سلوك الإنسان ،ولد فروم في فرانكفورت وحصل على درجته العلمية من جامعة هايدلبيرج عام ١٩٢٢م وذهب عام ١٩٣٣م إلى الولايات المتحدة ليحاضر في معهد التحليل النفسي في شيكاغو، وأصبح مواطنًا أمريكيًا عام ١٩٤٠م، وتقلد مناصب مختلفة في معاهد التحليل النفسي في الولايات المتحدة ودرس في جامعات الولايات المتحدة والمكسيك.الموسوعة العربية العالمية ج١٧ ص٣٥٤.

(٣) الإنسان بين الجوهر والمظهر، ص١٩٥، مرجع سابق.

الإنساني الذي يبحث عنه في ظل المادية التي تاه الناس بين أفكاره.

(ومن صلاحية الشريعة أن الإسلام لا يقوم على فكرة الصراع الموجودة في الفكر الغربي والإسلام يقدم بديلا للصراع وهو التدافع ومعناه الدفع عن النفس حال الاعتداء وهو حراك اجتماعي يحافظ على فكرة التعددية حيث إنها سنة الله في خلقه والصراع ضد التعددية فالإسلام يرى أن العالم منتدى حضارات وليست حضارة واحدة تتعارف وتتكامل تشترك في الحضارة المادية وتتمايز في الفلسفات والثقافات والعقائد ويرفع شعار العالمية تشترك في العلوم المشتركة التي هي كالماء والهواء لا حدود لها وليس العولمة التي تضع العالم في القالب الغربي اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً وثقافياً بحيث تزاح هويات الأمم وتسود ثقافة واحدة)[1].

إن شيخ الأزهر كان موفقاً غاية التوفيق حين استشهد في معرض تدليله على أن التجديد مقولةٌ تراثيةٌ، وليس مقولةً حداثيةً لكن الإشكالية تبقى دائماً في تحديد شروط هذا التجديد وضوابطه، وأولها أن نُفرِّقَ بين الثوابت التي لا يمكن التغيير فيها، والمتغيرات التي تتسم بالمرونة، والتي كان من رحمة الله تعالى بالأمة أن ترك المجال فيها مفتوحاً للاجتهاد المنضبط بقواعد الشرع الحنيف. إن ما يذكره البعض من أنه ليس في الإسلام كهنوت ولا رجال دين، هو قولٌ حقٌ وكلامٌ صحيحٌ، ولكنه من قبيل الحق الذي يراد به الباطل، فإنه إذا كان الإسلام لا يعرف رجال الدين بالمفهوم الكنسي الكهنوتي، فإنه بكل تأكيد يعرف علماء الدين الذين يستنبطون الأحكام من مصادرها الشرعية، والذين يرجع إليهم عامة الناس في معرفة ما أشكل عليهم من أمور دينهم؛ كما قـــال تعالى:

(١) صدام الحضارات، د. محمد عمارة، مذاع على قناة دعوة الفضائية.

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[1]. وإن القول بغير هذا سيفتح المجال واسعاً أمام أولئك المجددينات[2] ليعبثوا بالدين وأحكامه وأعجب من ذلك أنك ترى بعض مَن ينادون بهذا التبديد)[3].

وفي نهاية هذا العمل المتواضع خلصت إلى بعض النتائج والتوصيات أجملها فيما يلي:

أولا: النتائج:

- الحداثيون لن يصلوا في النهاية إلى شيء لأن الله حفظ دينه، وبتأييد ونصرة أهل الحق له.
- الدين مصبوغ به فطر الناس، فهو صبغة الله وكل من يحاول إطفاءه يذهب جهده سدى ولا يجنى إلا الخيبة.
- ذهب بعض عقلاء الغرب إلى العودة إلى الدين، فهو المنقذ من تلك المادية الطاحنة مثل الكاتب اريك فروم في كتابه الإنسان بين المظهر والجوهر.

---

(١) سورة النحل، الآية (٤٣).

(٢) هو مصطلح تعود براءة اختراعه لواحد من كبار أدباء العربية في القرن الماضي ، هو الأستاذ كامل كيلاني ــ رحمة الله عليه ــ، وهو الأديب الذي اشتهر بكتاباته المتميزة في مجال قصص الأطفال ويرجع الفضل في تعريفنا بهذا المصطلح إلى العلامة الشيخ/أحمد محمد شاكر (رحمه الله)، فهو الذي نقل تلك التسمية العجيبة، في مقدمة تحقيقه لسنن الترمذي، ٧٢/١، ط: مصطفي بابي الحلبي، ثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ثم قال الشيخ/شاكر في هامش تلك الصفحة: (هكذا والله سماهم هذا الاسم العجيب، وحين سأله سائل عن معنى هذه التسمية، أجاب بجواب أعجب وأبدع: هذا جمع مخنث سالم! فأقسم له سائله أن اللغة العربية في أشد الحاجة إلى هذا الجمع في هذا الزمن.

(٣) من مقال بعنوان: المجديدينات، د. عبد الآخر حماد، جريدة المصريون، تحت باب: مقالات اليوم.

- وصل بعض علماء الغرب إلى قناعة وهي قبول الكتاب المقدس على ما فيه من تناقضات لأنه هو الطريق الوحيد للجنة وقالوا نقول أنه فوق مستوى العقل مثل ديكارت.
- استدعاء التراث والقيام بعملية فرز يستدعى لها العلماء لوضع ضوابطها واستدعاء ما يوافق العصر منه وعدم استصحاب ما لا يفيدنا في زماننا.

ثانيا: التوصيـــات:

- نحتاج إلى إضافة مادة جديدة للتعليم تحتوي على الفكر الحداثي والرد عليه تحصينا وتوعية للشباب.
- لا بد من تضافر جهود العلماء لمقاومة مثل هذا الفكر الضال حتى لا ينتشر بين الناس.
- لا يعني مواجهة هذا الفكر بخلق علم كلام جديد لكن لابد من ضوابط تضبط بها هذا العلم المغلوب يتبع شريعة الغالب فقد فتن بعض قومنا بالتقدم الغربي لذا وجب علي الأمة وجوباً حتمياً (يناط بحكامها وأفرادها) أن تعمل على التقدم والرقي في جميع المجالات. ونكون حذرين من أن نقع في منهج جديد من علم الكلام.
- المغلوب يتبع شريعة الغالب فقد فتن بعض قومنا بالتقدم الغربي لذا وجب على الأمة وجوباً حتمياً (يناط بحكامها وأفرادها) أن تعمل على التقدم والرقي في جميع المجالات.
- الخطورة أن الحداثيين ثاروا على كل شيء على النص وحتى على العق لنفسه وإذا ثار الإنسان على العقل المغلوب يتبع شريعة الغالب فقد فتن بعض قومنا بالتقدم الغربي لذا وجب علي الأمة وجوباً حتمياً (يناط بحكامها وأفرادها) أن تعمل على التقدم والرقي في جميع المجالات فلا بد أنه يهزي ولذلك ينبغي أن يؤخذ على أيدي هؤلاء حتى لا ينتشر المرض في الأمة ولا يقال أن هذا

حرية رأي، فالرأي له ضوابطه من أمانة النقل والإنصاف وإلا فإفساد العقل مسئولية من؟ إن الجسد إذا مرض عالجناه أو بترنا منه الجزء المريض وكذلك هؤلاء الين يشيعون الوباء العقلي ينبغي أن يضرب على أيديهم فكفانا عبث بالعقول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين؛؛؛

المراجع والمصادر

- **القرآن الكريم.**

(١) **الإتقان في علوم القرآن:** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفي: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(٢) **الإحكام في أصول الأحكام:** أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفي: ٦٣١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، ط: المكتب الإسلامي، بيرو، دمشق، لبنان.

(٣) **ازدواجية العقل، دراسة تحليلية نفسية لكتابات حسن حنفي:** جورج طرابيشي.

(٤) **أسباب النزول:** للواحدي، مقدمة الكتاب: السيد أحمد صقر.

(٥) **الإسلام السياسي:** المستشار: د. محمد سعيد العشماوي.

(٦) الأشباه والنظائر، للسبكي.

(٧) **أصول الشريعة:** أ. محمد سعيد العشماوي، ط: مكتبة مدبولي الصغير، ط/٤، ١٩٩٤م.

(٨) **الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها:** د. سعيد ناصر الغامدي.

(٩) **البحر المحيط في أصول الفقه:** بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، أولى ١٤٢١هـ.

(١٠) **البنيوية النشأة والمفهوم ــ عرض ونقد ــ:** محمد بن عبدالله بن صالح بن بلعفير، جامعة الأندلس.

(١١) **تاج العروس:** الزبيدى، ط/١، دار الهداية.

(١٢) **تحديث العقل الإسلامي:** محمد سعيد العشماوي.

(١٣) **التحرير والتنوير:** ...

(١٤) **التراث والتجديد:** د. حسن حنفي، ط: المؤسسة الجامعية.

(١٥) **تشكيل العقل الحديث:** كرين برنيتون، ترجمة: شوقي جلال، ط:عالم المعرفة.

(١٦) **جوهر الإسلام:** محمد سعيد عشماوي، ط: مكتبة مدبولي الصغير.

(١٧) **الحداثة من منظور إيماني:** عدنان علي رضا النحوي، ط: دار النحوي.

(١٨) **الحداثة وموقفها من السنة:** د. الحارث فخري عيسى، عبد الله، ط: دار السلام.

(١٩) **الحضارة الأوربية في العصور الوسطى:** نعيم فرح، ط: منشورات جامعة دمشق، سوريا، ط/٢، ١٩٩٩/٢٠٠٠م.

(٢٠) **حوار الأجيال:** حسن حنفي.

(٢١) **درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول:** تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٢٢) **دراسات في علوم القرآن:** محمد بكر إسماعيل (المتوفي: ١٤٢٦هـ)، ط: دار المنار، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

(٢٣) **رب الزمان ودراسات أخرى:** سيد محمود القمنى.

(٢٤) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (المتوفي:١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

(٢٥) **سقوط الغلو العلماني:** د. محمد عمارة.

(٢٦) **سنن البيهقي الكبرى:** أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي

الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفي: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٢٧) **الصارم المسلول على شاتم الرسول:** أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ط: دار ابن حزم، بيروت، أولى، ١٤١٧هـ.

(٢٨) **الصحيح المسند من أسباب النزول:** عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي ط: مكتبة صنعاء الأثرية.

(٢٩) **عصر التنوير:** ليود سبنسر وآخرين، ط: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

(٣٠) **الفكر الإسلامي، قراءة علمية:** محمد أركون.

(٣١) **القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني:** محمد أركون، ط: دار الطليعة، بيروت.

(٣٢) **قضايا في نقد العقل الديني:** محمد أركون.

(٣٣) **قضايا وشهادات:** نصر حامد أبو زيد، ١٩٩٠م.

(٣٤) **الكتاب والقرآن:** محمد شحرور.

(٣٥) **لسان العرب:** ابن منظور، ط: دار صادر.

(٣٦) **المأزق في الفكر الديني:** ...

(٣٧) **مباحث في علوم القرآن:** مناع القطان، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.

(٣٨) **مجموع الفتاوى:** ط: مكتبة ابن تيمية، ثانية.

(٣٩) **المحصول:** للرازي. ...

(٤٠) **المرايا المحدبة:** د. عبد العزيز حمودة، ط: عالم المعرفة.

(٤١) **المستصفى في علم الأصول:** محمد بن محمد الغزالي، ط: دار الكتب

العلمية.

(٤٢) **مسند الإمام أحمد في المسند مسند الصحابة بعد العشرة حَدِيثُ الْحَارِثِ بْنِ خَزْمَةَ (ﷺ):** تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م.

(٤٣) **معجم مقاييس اللغة:** أحمد بن فارس، ط/١، دار الفكر.

(٤٤) **المغني في أبواب العدل والتوحيد (النبوات والمعجزات):** القاضي عبد الجبار.

(٤٥) **مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن:** د. نصر حامد أبو زيد، ط: مكتبة الفكر الجديد.

(٤٦) **من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي:** محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح ط: دار الساقي.

(٤٧) **مناهل العرفان في علوم القرآن:** محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفي: ١٣٦٧هـ)، ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.

(٤٨) **المورد:** قاموس إنكليزي عربي، منير البعلبكي، ط: دار العلم للملايين.

(٤٩) **ندوة ومواقف الإسلام والحداثة:** مجموعة من الحداثيين، والمقال للحداثي السوري عزيز العظمة ط: دار الساقي، وبلدية البيرة.

(٥٠) **النظرية والنقد بعد البنيوية:** جوناثان كولر.

(٥١) **هموم الفكر والوطن:** حسن حنفي.

(٥٢) **الوحي والواقع، دراسة في أسباب النزول:** د. حسن حنفي.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث باللغة العربية	٨١٥
ملخص البحث باللغة الإنجليزية	٨١٦
المقدمة	٨١٧
تحديد مصطلحات البحث	٨٢٢
المبحث الأول: أسباب النزول وتاريخية النص عند الحداثيين	٨٢٥
المطلب الأول: مراحل تكوين الحداثة	٨٢٥
المطلب الثاني: الحداثيون العرب وطريقتهم في الكتابة	٨٢٨
المطلب الثالث: أسباب النزول عند الحداثيين وتاريخية النص	٨٣٥
المبحث الثاني: أسباب النزول عند علماء علوم القرآن	٨٤١
المطلب الأول: فوائد أسباب النزول	٨٤١
المطلب الثاني: دعوى جميع الآيات كلها نزلت على أسبا	٨٤٤
المطلب الثالث: قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب	٨٥٥
الخاتمة	٨٦٦
أولاً: النتائج	٨٦٩
ثانياً: التوصيات	٨٧٠
المراجع والمصادر	٨٧٢
الفهرس	٨٧٦